آراء أهل الثقافة في ثورات الربيع العربي

الحرمل

السنة الرابعة / العدد 76 / 01 آذار 2018

الحريـــة دائمـــاً

sayı 76 Her Daim Özgürlük

Alharmal Dergisi Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

مجلس الأمن أمام إستحقاقات إنسانية في تثبيت الهدنة في سوريا

دماء أهل الغوطة الشرقية بين غسيل الأخلاق ومصالح الدول..

أن تكون في الغوطة.. يعني إنتظار الموت القادم.

إفتتاحية العدد

الفيتو الروسي

ماجد رشيد الموید

لا يمكن النظر إلى الفيتو الروسي خارج معادلة إعادة الاعتبار للدولة الروسية وريثة الاتحاد السوفيتي المنهار. يذكّر هذا الفيتو بالفيتو الأمريكي لصالح دولة إسرائيل، وهذا يعني ببساطة أن نظام الأسد يحظى بالحماية ذاتها التي طالما حظيت بها الدولة العبرية. لكن ماذا لو تهيأ لإسرائيل نظام يقوم بالوظيفة ذاتها التي عمل عليها الأسد الأب والابن، حينها ما هو مصير الفيتو الروسي؟.

معلوم تماماً أن الشأن الإسرائيلي من أولويات البيت الأبيض الجمهوري والديمقراطي، ولعلّه لهذا السبب بالتحديد لا تحظى سوريا بالاهتمام الذي حظي به العراق على سبيل المثال، فهذا الأخير على حدود إيران وقريب من روسيا وعلى حدود أكثر من دولة خليجية، ولذا فإن أهميته تزداد أمريكياً تبعاً لجغرافيته التي توفر لأمريكا فرص إقلاق راحة طهران وموسكو عند اللزوم، يضاف إلى هذا غنى العراق الذي لا يتوفر مثله لسوريا. في سوريا نظام يعمل على حماية دولة إسرائيل، وهذا كاف في الوقت الحالي بالنسبة لأمريكا، إلى جانب أنها تقع على حدود دول حليفة لأمريكا مثل تركيا والأردن، وهذا مطمئن بالنسبة لها.

روسيا بالمقابل تهتم بالشأن الإسرائيلي، فلا يمكن تمرير مسالة ما من غير الموافقة الإسرائيلية ذلك أن سوريا على حدودها، وعلى هذا فاللعب قائم في هذه المساحة.

غير أنه من المحال نسيان أن صاحب الفيتو يجب أن يتمتع بالقوة الاقتصادية المؤهلة له على الدوام للقيام بدور النافذ المعطل. أمريكا تتوفر على هذا العنصر في الوقت الذي نجد فيه روسيا دولة تعتمد فقط على ثرواتها الطبيعية مثلها في هذا مثل أية دولة خليجية، مع عائدات محدودة من بيع السلاح غير القادر على منافسة سوق السلاح الغربي الأوربي والأمريكي، مما يعني أن الفيتو الروسي قابل للخلخلة.

ماذا يرتب هذا على الثورة السورية؟

من البدهي القول إن العمل على صمود الثائرين أمر حيوي بالنسبة إلى ثورتهم، وواضح أنه تبعاً لما سلف لن تحظى الحالة السورية بالاهتمام ما لم يتم العمل على إقلاق راحة الكيانات غير الصديقة الفاعلة في الشأن السوري ولا بد من حرب العصابات كسياسة جديدة ورديفة تُعتمد أساساً وأولوية في تمكين هذه الثورة من إنجاز ما يمنع إنجازه على الأرض.

من غير المفهوم عدم استهداف المصالح الحيوية لنظامي إيران وروسيا، وهما الحليفان الفاعلان لصالح النظام في المسألة السورية، واستهداف المليشيات الشيعية في أماكن نشأتها. من شأن هذا المساهمة في زعزعة نفوذهم لدى مؤيديهم.

أمر آخر تتعالى حيويته، ويتمثل في الحروب الإقليمية والدولية وتصفية حساباتها على الأرض السورية. هذا موضوع زاوية أخرى.

اللاجئون السوريون في النمسا
تعثّر في تعلّم اللغة والرغبة الملحّة العودة للوطن!

عبد الكريم البليخ

يعيش اللاجئون السوريون ممن يُحاولون الوصول، وبطرقٍ غير شرعية، إلى الدول الأوربية هرباً من حمم الموت والدمار الذي لحق بهم من أجل العيش بكرامة مأساة حقيقية يندى لها الجبين، ومحاولاتهم البائسة في الوصول إلى بوابة العبور الأوربية المختلفة الاتجاه التي رحّبت بهجرتهم القسرية، وأدمتهم في القلوب!.

شباب بعمر الورود أعياهم الحزن، وأوجعهم في مقلتي العيون المأسورة. أحزان.. يتامى.. تدمع عيونهم من الواقع المؤسي الذي عايشوه، نتيجة أحوال الطقس والبرد، والرغبة الملحّة للعودة إلى حضن الوطن برغم المعاناة وحاجز اللغة الذي يشكل صعوبة بالغة في الاندماج مع المجتمع النمساوي الطيّب، وهاهم اليوم صاروا أسرى اللجوء، بعد اجتيازهم تركيا، اليونان، مقدونيا، هنغاريا، مروراً بالنمسا، ولم يعد بمقدورهم العودة إلاّ بعد أن ينتهي بهم المشوار، وعلى مبدأ، «دخول الحمَّام ليس مثل الخروج منه»!!.

اللجوء إلى دول «النعيم»

القصد من ذلك، أنّه ليس بالأمر اليسير الخروج من الدول التي سبق وأن قرّروا اللجوء إليها، والتي صار يطلق عليها باسم دول «النعيم»، مثل ألمانيا، والسويد، والنمسا، وسويسرا، وبلجيكا، والدنمارك، وفرنسا، والنرويج، وهولندا، وحتى اسبانيا.

ومن جهة أخرى فقد أصبحت اتفاقية «دبلن» الأكثر شهرةً، لدى السوريّين بوجه خاص، لدى المهاجرين ــ اللاجئين إلى منطقة ما يُعرف بدول «الشنغن». وهي الاتفاقيّة التي وضعتها تلك الدول لمعرفة البلد المسؤول عن دراسة طلب طالب اللجوء ومنحه إياها من عدمه.

المشكلة الكبرى هي وجود دول لا تقدّم الشيء الكثير للاجئ سواء من ناحية الضمان الصحيّ، مثل: اليونان، وبلغاريا، وهنغاريا، أو دول لا تعطي معونات ماديّة جيّدة، مثل تلك التي ذكرناها سابقاً، ويضاف إليها إيطاليا، وإسبانيا.

وتضاف إلى المجموعة الأخيرة فرنسا، بالنسبة للاجئين غير المتزوجين، والذين تقلّ أعمارهم عن (26) عاماً.

تفرض اتفاقية «دبلن» أن يكون البلد الأوّل الذي وطأته قدما اللاجئ هي الدولة المختصّة بدراسة طلب لجوئه، حتى ولو لم يقدّم طلب اللجوء هناك. وهذا ما يجعل اللاجئ يتهرّب في عدم تقديم بصمته، وطلب لجوئه، في دول مثل بلغاريا، وهنغاريا، وإسبانيا، قبل الوصول إلى الدول الأوربية الأكثر حضوراً.. وحط رحالهم على أراضي هذه الدول، فهذا يلزمه وقت ليس بالقصير حتى ينتهوا من الإجراءات التي يخضعون لها، ما يعني قبولهم كلاجئين، وفق القوانين المعمول بها، لجهة كل دولة على حدى.

وبات يتساءل الكثير من السوريين الذين فضّلوا اللجوء إلى الدول الأوربية، عن مدى قناعتهم بالهجرة إليها، وهل هم مقتنعون بكل هذه المعطيات؟ وإن حصلوا على جنسية أية دولة أوربية، أو حتى جنسية الولايات المتحدة الأمريكية، العملاق الاقتصادي الضخم، هل ينسيهم هذا حبهم وولاءَهم لبلدهم؟! وهل هم راضون بالغربة أصلاً؟ كغربة والبعد عن الأهل والأحبّة والديار، وجلسات الحارة الساخنة، بأحاديثها الجانبية، وسلام المارّة، والتحيّة المفعمة بالحب لذلك الشيخ، ولتلك العمّة، وذاك الطفل..

معاناة شاقة ومريرة!

يقول زياد خطّاب، وهو لاجئ سوري من أصل فلسطيني: «لا أظن أنَّ الحصول على جنسية أي بلد، يمكنها أن تلفظنا عن بلدنا، وتبعدنا عنه. ذاك البلد العظيم الذي ترك في قلب كلٍ منا غصّة، وغصّة لها عنوانها العريض!». وأضاف: «غيابنا عن الوطن بهذه الطريقة أبعدنا عن شغلنا ومصالحنا وقيمتها بالملايين، ونحن اليوم في النمسا، ولأكثر من ثلاثة أعوام نحاول تعلّم اللغة وفيها من الصعوبة ما يكفي. الحاجز بصراحة صعب وصعب جداً».

ويتساءل: «ما العمل؟».

ويضيف فراس أحمد «محام»، من الرّقة: «على الرغم مما نحن فيه اليوم، من بهرجة الإقامة، والتفاخر بها من قبل الغالبية من المغتربين الذين سبق وأن حصلوا عليها، وممن ينتظرون، والأحاديث الجانبية التي لا ينفك مجلساً محلياً في أي مدينة سورية عن الحديث عنها، والحديث الرئيس يوصف واقع المغتربين وأحوالهم، وقفزاتهم بعد أن عانوا ما عانوا من قهر، وحرمان وضياع وقت طويل لأجل الوصول إلى دول «النعيم»، ومثال ذلك: ألمانيا، وهولندا، والنمسا، والسويد، والدنمرك، وسويسرا، وبلجيكا، والنرويج، وفنلندا، وبريطانيا، وغيرها كثير من الدول الأوربية».

وتؤكد الشقيقتان نور الحسن، الطالبة في السنة الثالثة ـ كلية العلوم قسم الرياضيات، وزبيدة الحسن الطالبة في السنة الرابعة في كلية العلوم قسم الكيمياء، من مدينة الرّقة: «بصراحة المعاناة كبيرة جداً، وتحملنا على مضض مشكلة الوصول والخوف الذي انتابنا نتيجة عبورنا بحر ايجة وبقائنا لأكثر من 6 ساعات في عرض البحر، ونفاد وقود محرك «البَلم»، الزورق الذي حط بنا أخيراً في إحدى الجزر اليونانية.. كل هذا، في الواقع، أهون ألف مرة من مرارة العيش التي كنا نعيشها يومياً أثناء تواجدنا في دمشق، ومعاناة السكن، وانقطاع التيار الكهربائي، والمياه، وغلاء الأسعار.. أضف إلى ذلك الخوف والقلق والحاجة، وكثير من المنغصات التي اضطرتنا إلى الهروب من الوطن واللجوء إلى النمسا».

وأضافتا: «تظل قسوة الغربة والبرد الشديد الذي عانينا منه أفضل بكثير من الواقع المؤسي الذي كنا نعيشه في بلادنا، ونحاول جادين في الوقت الحاضر، بعد أن حصلنا على الإقامة من تعلّم اللغة الألمانية والاندماج مع الشعب النمساوي، ومن خلال ذلك يمكن تجاوز الصعاب التي تواجهنا، والتمكن من الدخول إلى الجامعة وإكمال دراستنا التي نحب!».

مخاطر.. حياة أو موت!

ويقول المحامي محمد خالد رحابي، 60 عاماً من إدلب: «صرفنا الكثير من الأموال لقاء الوصول إلى تراب تلك الدول الأوربية التي احتضنت مشكورةً أعداد كبيرة من اللاجئين، وتعرّضت وأسرتي إلى المغامرة والموت المحقّق نتيجة عبورنا البحر بواسطة «بلم» مطاطي، علاوة على تأمين المبالغ الضخمة التي تتطلب لهذه المغامرة الخاسرة! وهي مغامرة خاسرة، بكل الأحوال!. وأنا الآن مقيم في النمسا، وضعنا جيد والحمد لله إلى جانب أسرتي، وما يقدم لنا من خدمات من قبل الحكومة النمساوية عجز، وللأسف، بلدنا الأصل عن تقديمها».

والتقت «الحرمل» بالشابين سوران محمد، وجنكيز فلات من مدينة القامشلي السورية، فقالا: «المعاناة كبيرة جداً، إلاّ أنه وبعد جهد كبير توصلنا إلى المكان الذي كنا نمني النفس أن نصل إليه. نعيش حالياً في النمسا، ونكنّ للشعب النمساوي الطيّب كل الود والاحترام. صرفنا الكثير من المال للوصول إلى هنا، ناهيك عن الخوف الذي انتابنا أثناء عبورنا البحر، وبفضل الله وصلنا بسلام بعد أن دفعنا الكثير من الأموال لأشخاص لا نعرفهم. المهم أنه وصلنا بسلام!».

كما التقينا المعلمة نيكول كوبار، من أصل برازيلي، التي تدرّس اللغة الألمانية في إحدى المدارس النمساوية في فيينا، تقول: «لا شك أنَّ هناك صعوبة بالغة في تعلّم اللغة لمستها من خلال تدريسي لجهة البعض من اللاجئين، وبصورة خاصة كبار السن، وهناك البعض منهم مستواه جيد وقابل للتطوّر والنجاح. ما ينقص البعض المتابعة في البيت، والمشاركة داخل الصف بشكلٍ أفضل. اللغة تحتاج إلى استمرارية في التعلم، والأغلبية من الطلاب، بصراحة، وكما يبدو لي، لا يهمهم أن يتعلموا، فهم يحتاجون إلى مراجعة ما سبق وأن تعلموه في المدرسة، وحفظ مفرداتها، والتركيز على قواعدها وهي أساس تعلّم اللغة بشكلٍ صحيح».

بقي أن أشير إلى أنه، ومن خلال لقائي أعداد كثيرة من اللاجئين المغامرين بحياتهم، فانَّ ما صرف لقاء الوصول بهم إلى تلك الدول الأوربية مبالغ مالية فاقت الـ 6 آلاف يورو للشخص الواحد، ومنهم من دفع لقاء وصوله إلى تلك البلاد الذهبية الـ 12 ألف يورو ونيّف، بعيداً عن المعاناة التي تجاوزت الأشهر الستة، قضوها بين الغابات والعواصف، والرياح والأمطار، ومخاطر البحر، والموت الزؤام!.

أن تكون في الغوطة..؟!

عروة المهاوش

كيفَ لعقلٍ بشري أن يَعي ما الذي يعنيه أنْ تكون تحت قذائف الطائرات وصواريخ الموت اليومي، التي لم تستثنِ حتى أرحام الأمهات والأجنّة؟. كيف لعقلك أن يتحمل صراخ أبنائك حين تقف عاجزاً عن تقديم أي مساعدة لهم، سوى أن تضمهم إلى صدرك بقوة كي تعيد لهم الحياة..؟!!

الجوع

طفلٌ ينازعُ الموت ينظر إلى وجه أبيه الذي يحمله بين ذراعيه، أجفانه لم تعد تقوى على الارتفاع، وبين حمى الموت، والصحوة يتمتم: «يا رب يا بابا ما موت قبل آكل»، هل أدركت الصورة الآن معي، وكيف كان هذا الطفل يعاني من الجوع قبل أن يمزق جسده الطري صاروخ الممانعة؟!!

قال أحد الأطباء: «في غرفة العمليات كانت هناك الكثير من البطون الممزقة الخاوية من أي ذرة طعام».

القتل الرحيم

الغبار والركام يملأ المكان، قبلها بيومين شاهدت أشلاء أطفال جيرانها حينما أسعفتهم مع زوجها إلى المشفى القريب، وشاهدت بأم عينيها عجز الأطباء عن إنقاذ حياة أي منهم، نتيجة القصف والحصار وقلة الدواء، وشاهدت كيف يتعذب الطفل قبل الموت، حين رأت ابنها محمولاً وخارجاً من تحت أنقاض منزلها، صرخت فيهم: «اقتلوه.. اقتلوه كي لا يتعذب أكثر»، أهي شفقة الأم وحنانها؟!! أم شعورها حينها بأن الموت أرحم؟!!

البرد

يضع أمامه ست جثث، الجثة الكبيرة هنا زوجته، والأصغر منها أطفاله الخمسة، بمشهد وكأنه يوحي إليك برقم رياضي فهنا رقم واحد طويل، يليه أرقام تبدو أصغر كالأصفار، ينتحب ويشهق بشدة حتى يكاد يخيل إليك أن صدره سيتمزق بأي لحظة، حين أزفت لحظة الفراق وجاء فريق الدفن صرخ فيهم: «بدكون تحطوّون بالبرااااد، ولك هدول ولادي الخمسة وأمهم، طيب والله برد.. برررررد»، فقد كل شيء حتى عقله، ويخشى عليهم من البرد وهم جثث باردة.

دعوه يودع ابنه

جثث محمولة على ظهر سيارة، يصرخ بهم أريده فينادي أحدهم لسائق السيارة: «اتركو يودع ابنو»، يحمل الأب جثمان طفله الصغير يحتضنه وينتحب راقصاً رقصة الوداع، يقفز به بعيداً عن السيارة، يرقص بالجثمان فيما يضمه بقوة نحو صدره، ويستقبل بوجهه الحائط تاركاً السيارة خلفه تنتظر.

ورد وحلم

أنا ورد، فتاة من الغوطة حلمي كان أن أدرس الصحافة والإعلام، وكنت على وشك الدخول إلى الجامعة، لكنها الحرب قضت على حلمي، صديقاتي خارج الغوطة على وشك التخرج، وأنا فخورة بهن، في ظل الحصار الخانق، تزوجت وأنجبت طفلين، وها أنا أشعر بالذنب تجاههم، الغوطة أرضنا فيها ولدنا، وفيها نموت.

طعام بارد

يومان داخل الملجأ، دون طعام أو شراب، الأطفال أنهكهم الجوع، وبطونهم أصبحت خاوية من الطعام حتى لم يعد لديهم القدرة على التحرك، حين توقف القصف، خرج الأب مسرعاً ليبحث عن أي شيء يؤكل، ابتعد عن الشارع راكضاً يسابق الوقت والصواريخ والطائرات، وجد القليل من الطعام، كمية لا تكفي أطفاله، عاد بها فرحاً، لم يجد البناء، بل كان كتلة من الحطام والركام، بقي واقفاً أمام الركام ينتظر خروج أطفاله قبل أن يبرد الطعام.

الهدنة الإنسانية والمصالح الدولية

زبير الشويخ

أصدر مجلس الأمن الدولي في جلسة طارئة عقدها بتاريخ 24 فبراير/شباط قراراً قامت بصياغته السويد والكويت، وصوّت عليه كل أعضاء المجلس، يطالب القرار الدولي 2401 جميع الأطراف بوقف شامل للأعمال العسكرية في سوريا ورفع الحصار عن الغوطة الشرقية وبقية المناطق الأخرى المأهولة بالسكان لمدة 30 يوماً، وفتح ممرات آمنة للوصول الإنساني الفوري للسماح بإيصال الإغاثات والخدمات الإنسانية والإجلاء الطبي بشكل دائم ودون عوائق، بما يتوافق مع القانون الدولي على أن يدخل القرار حيّز التنفيذ بشكل فوري. وبالمقابل استمرت الأعمال العسكرية في منطقتين في سوريا بشكل واضح وعلني وبدعم مباشر من الدول المؤثرة في الملف السوري، الغوطة الشرقية والتي يعيش فيها أكثر من 450 ألف نسمة محاصرين بشكل كامل هي المنطقة الأولى التي ما زالت تستمر فيها الأعمال العسكرية بالرغم من القرار الدولي وهي جيب جغرافي يقع شرق العاصمة دمشق، تسيطر عليه فصائل المعارضة السورية، جيش الإسلام وفيلق الرحمن ومجموعات من مقاتلي حركة أحرار الشام الإسلامية وهيئة تحرير الشام «جبهة النصرة سابقاً» مواجِهَةً لحملة عسكرية يقودها الجيش السوري بكتائب من مرتبات الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة المدرعة والفرقة 14 قوات خاصة والفرقة السابعة قام بجلبها من مدن دمشق وحلب وحمص ودرعا -بحسب الاندبندنت البريطانية- وتساندها قوات الغيث بقيادة العقيد غياث دلة ومجموعات من قوات النمر بقيادة العميد سهيل الحسن، وتهدف لطرد هيئة تحرير الشام من أطراف العاصمة دمشق، والسيطرة على الغوطة الشرقية بدعم عسكري من روسيا التي أعلنت من جانبها عن هدنة في الغوطة الشرقية لمدة خمس ساعات يومياً خلافاً لما أقرّه مجلس الأمن الدولي في قراره 2401 حيث صرّح الجنرال الروسي يوري يفتوشينكو رئيس مركز المراقبة الروسية في سوريا أن مركز المراقبة سيقوم مع النظام السوري بإجلاء المرضى والمصابين من المنطقة وأن النظام السوري أعدّ ممراً إنسانياً لخروج المدنيين ووزّع منشورات بشأن تفاصيل الإجلاء.

وبالرغم من اتفاق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ومع المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل في اتصالات هاتفية منفصلة على ضرورة تطبيق قرار وقف إطلاق النار وإتاحة المجال لدخول المساعدات الإنسانية للغوطة الشرقية وإجلاء الجرحى، تستمر معاناة المدنيين في الغوطة الشرقية مع استمرار القصف والعمليات العسكرية التي طالت جميع مدن الغوطة خلال الأسبوعين الماضيين حيث أكد وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية مارك لوكوك أن الوضع الإنساني في الغوطة الشرقية بريف دمشق «تأزم» وشدّد لوكوك على استحالة إمكانية وصول المساعدات الإنسانية إلى الغوطة الشرقية ضمن مهلة الساعات الخمس اليومية التي أعلنت عنها روسيا.

وبالرغم من تأكيد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان معلقاً عن الوضع في الغوطة خلال تصريح صحفي في مطار أتاتورك بإسطنبول بتاريخ 26 فبراير/شباط قبل جولة إفريقية له بأن «الهجمات حالياً في الغوطة الشرقية متواصلة بشكل وحشي»، فإن المنطقة الثانية التي ما زالت ساحة للأعمال القتالية في سوريا هي منطقة عفرين شمال غرب سوريا التي تستمر فيها عملية غصن الزيتون بقيادة الجيش التركي بالتعاون مع فصائل من المعارضة السورية بحيث سيطرت حتى الآن على إطار جغرافي بعمق 10 كم يحيط بمدينة عفرين من مناطق (جنديرس، راجو، بلبل وحتى جبل برصايا) واتصلت من خلالها المنطقة الخاضعة لسيطرة فصائل درع الفرات بمنطقة فصائل المعارضة السورية في ريف حلب الغربي ومحافظة إدلب، وانتقد الرئيس الفرنسي ماكرون العملية التركية المستمرة في عفرين بالرغم من القرار الدولي 2401 خلال مكالمة مع نظيره التركي حيث أعرب عن تأكيده بأن القرار يشمل كل الأراضي السورية بما في ذلك عفرين حيث عملية غصن الزيتون التي تبدأ مرحلة جديدة بنشر أنقرة لقوات أمنية خاصة في محيط عفرين.

ما زال سقوط الضحايا المدنيين في سوريا هو الخبر السوري الأول ومازال المجتمع الدولي يتباكى ويعلن عن عقد جلساته الطارئة مع كل حصار بالجوع أو مجزرة يعاني منها الشعب السوري، وعند إقرار أي قرار يعطي فرصة الحياة لبعض المدنيين السوريين الذين يعانون من الحصار والقصف، تظهر الشمّاعة التي تترك المجال مفتوحاً لنقض تلك القرارات وعدم تطبيقها بحجج تُرمى من ملعب دولة إلى أخرى لتأمين مصالح الدول التي تدعو لتنفيذ اتفاقات وقف إطلاق النار وتنقضه ليكون نقضها حجةً لدى دولة أخرى لنقضه في مكان آخر.. على حساب السوريين.

أخرِجوا مستنقعكم من عيني

خديجة محمد المبدالله

مرَّ وقتٌ طويل على شعوري بالسخرية من كلِّ انتفاخ عشائري كاذب، كنت قد سمعتُه من كبار السن في الوسط الاجتماعي الذي أنتمي إليه، ذلك الوسط الذي حاول مراراً تزوير الحقائق بالتاريخ الشفهي الذي يطول ويتضخم حسب أهواء وبراعة المتكلم..

ذاكرة الطفولة التي عندي، كانت ذاكرة لزجة أكثر مما ينبغي لطفلةٍ لم تتجاوز الثامنة من عمرها، إذ إنّ الصور البائسة التي مرّت أمامي في ذلك المجتمع القبلي المتخم بالقمع والظلم، ما تزال معتقة في خوابي ذاكرتي بتركيز قوي من الأسى.

ولا تلبث هذه الصور القاتمة إلا أن تفرض نفسها بقوة، حاضرة أمام عيني بعد كل تلك السنوات التي مرّت..

كرهي للباس الأسود ازداد مع الأيام، منذ أن اصطحبتني والدتي معها إلى خيمة التعزية، حيث النساء الكثيرات اللواتي كنّ متشحات بالأردية السوداء. يومها أثار استغرابي كطفلة لفترة طويلة، بقاء هذا اللون ملازماً وملتصقاً بكلّ النساء التي رأيتهن حتى خارج بيوت التعزية، وكأنهنّ في حالة حداد وحزن دائم!

ولعلّ السبب الآخر في تشاؤمي من اللون القاتم هو منظر الجثة السوداء التي رأيتها مرميةً على أطراف (مستنقع العين) شرقي محافظة الحسكة، الجثة التي ما زال طيفها يتحرك أمامي بين فترةٍ وأخرى بعد كلّ تلك السنوات، خصوصاً عندما أُطيلُ النظر باللون الأسود، أو عندما يمر خبرٌ عابر أمامي على التلفاز يتحدث عن جرائم الشرف، تلك الجرائم الصامتة التي كانت تُرتَكب بكل وحشية في قرانا، بل في مدينتنا أيضاً، ثم ازدادت إلى حدٍّ كبيرٍ من الفجيعة، خلال سنوات الحرب..

كانت تلك الجثة، في ذلك المستنقع، حليقة الرأس ويداها مربوطتان إلى الخلف، ويحيط بها الكثير من الوحل والدماء القاتمة. هي أولُ مشاهدة لي لميت عن قرب، وقد أثار فضولي وقتها، كثرة الناس الذين تجمهروا بالقرب منها، وهم يتلفظون بعبارات الشتيمة واللعنة والتأسف.

هذا الطقس البدائي المرعب الذي لفت انتباه براءتي، كان سبباً رئيساً في استفزازي بطرح العديد من الأسئلة. لم أفهم يومها ما الذي حدث، ولماذا قتلت هذه الفتاة؟!

ومن الذي حلق رأسها، وربط يديها بهذا الشكل؟

ولماذا كان رأسها مهشماً وعليه الكثير من الدماء!

أسئلة واستفسارات كثيرة راودتني لم أحصل على أجوبة لها في تلك اللحظة؛ لأنّ أهلي سارعوا في إعادتي إلى المنزل خوفاً عليَّ من ذلك المنظر المرعب، أو ربّما من اللعنة التي ستحيق بتلك الجثة..

احتفظت ذاكرتي بتلك الصورة، لأكتشف بعد عدة سنوات أنّ صاحبة الجثة هي فتاة قروية من عائلة بسيطة، انتقل أهلها حديثاً إلى أطراف مدينة الحسكة، ولحماقةٍ وخوفٍ من ألسنة العشيرة والجيران، تم قتلها بسرعة بعد انتفاخ بطنها، لكنّ الصدمة كانت كبيرة على أخيها بعد فحص وتقرير الطبيب الشرعي، الذي أثبت براءتها، وأنّ الأمر لم يكن إلا التهاباً بسيطاً في بيت الرحم..

قيل بعدها إنّ أخاها القاصر (صاحب النخوة) أُصِيبَ بالجنون، وإنّه دائمُ البكاء عند قبرها الذي كان بعيداً جداً عن مقبرة عائلتهم!

بعد طلبات وشكاوى كثيرة من الأهالي، شاهدت بعَينَي طفلة في أواخر التسعينيات من القرن الماضي، كيف ردموا ذلك المستنقع الآسن المشبع بالكثير من الأوساخ والذكريات المؤلمة، المستنقع الذي كان يعكس صورة من يسكنون حوله، من فقر وبؤس وجهل وأوبئة وثقافة موت..

لكنّني سمعتُ من أقربائي الذين ما زالوا يتواجدون في الحسكة أنّ المستنقع بدأ بالنَّز مجدداً خلال السنوات الأخيرة، مطلقاً الكثيرَ من الروائح النتنة، وعلى سطحه الكثيرُ من الألوان السوداء..

عندما كبرتُ وقرأتُ أكثر، علمتُ أنّ العشرات بل المئات من تلك القصص المؤلمة التي تسمى (جرائم الشرف) أو (جرائم غسل العار) ترتكب سنوياً بشكل مرعب ليس فقط في سوريا، بل في مصر والعراق والأردن والسودان واليمن والمغرب، وحتّى في لبنان الذي كان يعتبر القدوة والفضاء الأوسع من حيث الوعي المدني وحرية التعبير والكلمة الحرة والعمل الصحفي، لبنان التي قال عنها يوماً الكاتب السوري المغترب (رفيق شامي) في روايته (الجانب المظلم للحب): «عندما نعشق نهرب إلى بيروت»..

ولأنّ وسائل التواصل الاجتماعي مع العالم الحر، كانت ثقافة غريبة علينا في سوريا قبل ربيع عام 2011م فضلاً عن أنّها مقيدة بقيود أمنيّة صارمة، لم تُتَح لي الفرصة إلّا مؤخراً كي أشاهد الفيلم السينمائي (رجم ثريا) المقتبس عن قصة حقيقية وقعت في إحدى القرى الإيرانية، نقلها الصحفي الفرنسي (فريدوني ساهيبجام)؛ لأبدأ بالبكاء الشديد مع (ثريا) لحظة بدؤوا برجمها، إلى أن رموها على ضفة النهر طعاماً للكلاب الشاردة.

وقتها تراءى لي بوضوح منظر تلك الجثة على أطراف مستنقع الحسكة..

قبل عدة أيام من كتابتي لهذه الأسطر قرأتُ رواية (شرفة العار) للروائي الأردني الفلسطيني إبراهيم نصرالله، الذي أهدى روايته إلى (ضحايا جرائم الشرف) في العالم بأسره وإلى النساء المقهورات في كلّ مكان، وقد تعمّدَ أن يفتتح روايته بتقرير للتنمية البشرية صادر عن الأمم المتحدة عام 2009م* يتحدث عن أرقام جرائم الشرف في العالم بشكلٍ عام، وفي بلداننا بشكل خاص (ضمن الإحصائيات المتاحة)

وكما هو الحال في أغلب الجرائم السياسية والاقتصادية وغيرها من الجرائم الغامضة المسكوت عنها في بلادنا الشرق أوسطية، تبقى تلك الأرقام والإحصائيات المتاحة تقريبية وقابلة للزيادة بشكلٍ صادم؛ نظراً لصعوبة وخطورة العمل المدني في مناطقنا المحكومة أمنياً وعشائرياً وطائفياً.

ورغم ذلك، لابدّ من الخوض في هذا المجال الإنساني الذي يستلزم عملاً مؤسساتياً توعوياً ضخماً، والعديد من الكوادر المؤهلة من الناحية المدنية، والكثير من الندوات التثقيفية الجادة التي لابدّ أن تعمل على تغيير النظرة الدُّونيّة للمرأة، وتُعرِّف كلّ شخص بحقوقه من جميع النواحي، بالإضافة إلى فرض عقوبات صارمة تحدُّ من (جرائم الشرف) التي هي، باعتقادي، بعيدة عن الشرف والإنسانية.

في الرقة منع تجول ليلي.. وسرقات دون محاسبة

الحرمل - خاص

خطير ما تمر به مدينة الرقة اليوم من عدم وجود رعاية صحية للأهالي العائدين إلى المدينة بعد تهجيرهم منها من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، ونزوح باقي أهلها بعد بدء معركة «تحرير الرقة» وتدميرها فوق من تبقى منهم، حتى لا يكاد بيت في المدينة إلا وقد أصابه بعض التدمير وفيه شهيد أو مغيّب في السجون، لكن هناك ما هو جديد على الساحة، وهو عمليات سرقة منظمة ومدروسة، وتحت جنح الليل من قبل عصابات مختصة تقوم بسرقة عيادات ومشافي خاصة في مدينة الرقة، والتي تركها أصحابها هرباً من قصف التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا الذي دمّر أكثر من 70% من المدينة.

ساعد على تفشي هذه الظاهرة غير المسبوقة قرارات منع التجول الليلي، والتي يبدأ سريانها من الساعة الثامنة مساءً وتستمر حتى الساعة السادسة صباحاً من اليوم التالي، حيث تنشط مجموعات ليلية للسرقات والنهب المنظم والخطف، وتتوزع هذه العمليات على مناطق المدينة وعياداتها، وبيوتها التي تتسرب معلومات عنها بأن أصحابها من ذوي الجاه والغنى.

في لقائنا الخاص مع الناشط الإعلامي محمد عثمان والذي يعمل على توثيق أغلب الانتهاكات والأحداث التي تجري في مدينة الرقة من قبل «بعض المتعاونين» مع قوات سورية الديمقراطية «قسد» أفادنا بأن هذه العصابات تقوم بسرقات منظمة لعيادات الأطباء في مدينة الرقة وإفراغها من كامل تجهيزاتها الطبية، ونقلها ليلاً نحو مستودع كبير يقع في منطقة السكن الشبابي شمال غرب مركز المدينة، والذي تتم حراسته من قبل عناصر تابعة لقوات سورية الديمقراطية حيث يمنع المواطنين من الاقتراب منه.

وأضاف العثمان: تُباع المسروقات في مدنٍ وبلدات تسيطر عليها قوات سورية الديمقراطية، ويتم نقلها تحت حمايتهم أثناء مغادرة المدينة نحو الجهة التي ستعرض فيها تلك الأجهزة الطبية الثمينة للبيع، وتأتي أهميتها أولاً أنها لو بقيت في المدينة لكان من الممكن أن تساهم بإنقاذ حياة مريض، أو مصاب من أهلها.

وعن توثيق العديد من تلك الحالات أفادنا «العثمان» بأنه تم سرقة عيادة الدكتور إبراهيم المشرف أخصائي الأشعة بكامل تجهيزاتها الطبية، إضافة إلى عيادة الدكتور هشام اسماعيل «طبيب سنية» والتي تقع عيادته بجانب صيدلية الخضر في شارع تل أبيض، وسرقة كرسي أسنان من منزل الدكتورة فوزة بجانب سكة القطار، كما قامت تلك العصابات بسرقة عيادة طبيب الأسنان الدكتور عبد الكريم الراوي الواقعة في شارع تل أبيض بجانب جامع الفواز، وسرقة عيادة الدكتور أحمد الكيلاني اخصائي جراحة فكية، حيث قدّر العثمان ثمن المسروقات كاملة بأكثر من مئة ألف دولار.

لا يقتصر الأمر على العيادات والمشافي بحسب مشاهدة وتوثيق الناشط «العثمان» بل تعداه الأمر إلى سرقة «محولات» الكهرباء التي تقع ضمن المناطق السكنية، والتي كانت تغذي الأحياء بالطاقة الكهربائية مما يجعل إعادة التيار الكهربائي لتلك الأحياء شبه مستحيلة، هذا وقد تم التعرف على بعض الأشخاص الذين يقومون بعمليات السرقة ليلاً وهم تحت حماية «قسد» ومخابراتها «الأسايش» كما أفادنا وهم: عبد الرحمن الفياض «كردي» من أهالي منطقة رميلة، وحمزة «علاقات» أيضاً من الأكراد وهو من مدينة تل أبيض، ويقع مقره الذي استولى عليه بمحيط دوار الشهيد «حسين جاهد»، ومن المتعاونين معهم من «العرب» هناك شخص يدعى أبو جاسم الرقاوي من منطقة رميلة، وقد استحوذ على مستودع كبير في شارع النور وجعله مقراً خاصاً به.

كما اتهم «العثمان» المدعو طارق الهوها ونشر صورة له على صفحته الشخصية بسرقة الأجهزة الطبية من مركز الرافقة وعيادة الدكتور حسين حسن، ونقلها إلى مركز خاص لقوات الأمن الداخلي «الأسايش» ويذكر أن السارق «الهوها» من مدينة الرقة -قرية كسرة محمد علي- ويعمل كممرض في الأمن الداخلي «أسايش».

وعن شكاوى المواطنين أفادنا العثمان بأنه لا جهة مسؤولة عن إجراء التحقيقات بهذا الخصوص، أو تقوم بملاحقة اللصوص ومن يحميهم، حين يتقدم أحد المواطنين بشكوى لدى المخابرات «أسايش»، الذين يكتفون فقط بتلقي الشكوى مع إفادات الشهود، ومن ثم تبدأ عملية ابتزازهم مادياً بحجة أن هذا الاتهام باطل، ويجب عليهم دفع مبالغ مادية كبيرة أو يتم إيقافهم أصولاً بحجة إقلاق السلطات وإزعاجهم.

مدينة لم تهنأ يوماً منذ بدء انطلاقة الثورة السورية، فمن قصف طائرات النظام، وبراميله وصواريخه ومدفعيته التي قتلت أهلها المدنيين حين خرجت عن سيطرته كأول مدينة سورية محررة من قوات النظام، إلى سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية عليها عام 2013 وفرض أقسى أنواع العقوبات بحق المدنيين واستهداف النساء خاصة، وناشطي المدينة وثوارها داخلها، وخارج حدود سورية أيضاً، وتصفيتهم قتلاً بحجة التعاون مع «الكفار والتحالف الصليبي» لينتهي الأمر بتلك المدينة الوادعة بمعركة قامت بها دول التحالف الدولي جواً بالتعاون مع قوات سورية الديمقراطية أرضاً، شاركت فيها بأحدث الطائرات والتجهيزات القتالية وتدمير ما تبقى من بيوتها وشوارعها وجسورها ولم يستثنِ التدمير المشافي والجوامع والمدارس ورياض الأطفال.

وبعد انتهاء العمليات العسكرية، وفي ظل انقطاع الكهرباء والماء وندرة الدواء والمواد الغذائية، والأسس الأولى للحياة الكريمة، بدأت تشهد مدينة الرقة عودة أهاليها، الذين لم ينتظروا القوى المحررة بترحيل الأنقاض، وقاموا بتنظيف الشوارع، ونقل مخلفات الحرب على نفقتهم، متأملين أن يعيشوا ضمن هذه الظروف الصعبة، تحت سقوف ما تبقى من بيوتهم المهدمة، ولتبدأ ممارسات جديدة بحقهم من سلطات الأمر الواقع، وتحولت وعود إعادة الإعمار إلى حبر على ورق.

الحرملي

باعة الوهم..!

كان من الممكن أن تكون الأزمات والآثار النفسية التي تخلفها في نفوس البشر، وما ينتج عنها من آثار سلبية في الجانب المادي والمعنوي، مقدمة لكي تُحدث تغييراً إيجابياً على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي، وأن تقوي إيماننا بأنفسنا وبقدرتنا على إحداث تغييرات إيجابية في المجتمع، على مبدأ إن الضربات التي لا تقصم الظهر تقويه.

الذي حدث في سوريا منذ أكثر من سبع سنوات عقب انطلاقة ثورة السوريين بوجه الاستبداد والطغاة، كان من الممكن أن يأتي مقارباً لعبارة أطلقها السوريون منذ الأيام الأولى لثورتهم، وهي «واحد واحد واحد الشعب السوري واحد»، لكن الذي حصل كان مغايراً، وجاء قاصماً للظهر لا ليقويه بل لكي ينهيه تماماً.

الشواهد تؤكد أننا استمرأنا القتل، وبرعنا بالتزوير وبأعمال التهريب والنصب والاحتيال، وسرقة الآثار وبيعها في أسواق الدول المجاورة، وأكلنا مال اليتيم والفقير، وسطونا على بيوت المشردين والمهاجرين والراحلين، تاجرنا بالممنوع، وجعلنا الغش شعاراً جديداً لنا، احترفنا كل فنون الدجل والكذب والنفاق والتزلف، وتركنا خلفنا صلة الأرحام، وأدمنا موائد القمار، ووصلنا إلى القمم في كتابة التقارير والوشاية والنميمة، وابتدعنا طرقاً وفنون في الصناعة والتجارة، وابتكرنا النظريات والقوانين في فنون اللعب بالبيضة والحجر.

آخر الأخبار ما قاله أحد الأصدقاء: «لا تنتظروا العودة إلى الرقة، ابحثوا عن مكان لقبوركم هنا في تركيا، يكون فيه راحة لأنفسكم ولأجسادكم». في الحقيقة كانت دعوته مؤلمة وصادمة، فكيف بعد أن خسرنا كل شيء لا نملك القدرة على العودة إلى ديارنا، على أقل تقدير إمكانية أن ندفن في تل البيعة، بعد أن تحول المدفن في حطين إلى ترف حقيقي، وعندما تجرأنا على سؤاله: لماذا كل هذا التشاؤم. قال: بعد أن عفّشت قوى الأمر الواقع بيوت الرقة، جاء من يريد أن يبقيها أثراً بعد عين، ويأتي على ما تبقى من دمارها.

الأنباء الواردة من الرقة تقول بأن أعمال السرقة نشطة على قدم وساق، سرقة منظمة وبإشراف قوى الأمر الواقع، العيادات والمحلات التجارية والمكاتب والبيوت، تعفيش منظم وبحماية عسكرية، أحدهم يريد أن يفتح محلاً، قال له أحد الأقارب: سيُسرق في ليلته الأولى، فمنع التجول غطاء لأعمال السرقة، وإن لم يتمكن اللصوص من فتح أقفال المحل، سيهدمون الجدار ويسرقوه، في الرقة لا تستطيع أن تمارس أي عمل في ظروف انتشار ظاهرة السرقة، التي وصلت إلى قضبان الحديد للبيوت المهدمة، والسارق من فار أو مهاجر أو لاجئ أو نازح كالوارث من أبيه.

لا يوجد كثير فرق بين اللص والمزور والغشاش وكاتب التقارير والدجال والمنافق وبائع الوهم، كلهم في الهواء سواء، ألم يبادر الكثير منّا بالمتاجرة بدماء السوريين، ألم يتاجر الكثير بالوطنية والدين، ألم يتاجر بمأساتنا كل من هبّ ودب إلا من رحم ربي.؟

مستقبلاً نحن أمام مسؤوليات جسام، فقبل التفكير بإعادة إعمار ما دمرته الحرب، يجب أن نعمل على إصلاح نفوسنا المريضة، التي أثقلها الوهم والزيف. ننتظر بشغف أن يكون شعارنا القادم: «الشعب السوري واحد».

الحرملي

أنتِ يا غوطتي

عيسى الشيخ حسن

كان ذلك عام 1997 تقريبًا، أعطيت هذا النصّ لطلّابي الصفّ السابع، ويومها شرحت لطلّابي سبب اتّصال البيت دون انقسامه إلى شطرين، لأنّ البحر الخفيف مركّب، ويومها أنشدنا القصيدة معًا حسب تفعيلات الخفيف لا نعم لا/ لالانعم/ لا نعم لا، يومها كانت الغوطة أغنية.

بعد عشرين وزيادة كبر طلابي، وقسم منهم صديقي هنا، ولكن من يتذكر معي «قرويين زُيّنوا بالوقار»؟. وبعد عشرين يلتفت القلب نحو الشمال، وهو يرى الغوطة جملةً في «حرائق دمشق» وعباراتٍ في منهج مدرسي، وجرح سوري يسيل.

أنت يا غوطتي طيورك ألاّ — في وألحان حبها سماري
كلّ حقل على مهادك داري — كلّ نهر على وهادك جاري
يوشك القلب أن يذوب حنيناً — كلّما شطّ عن حماك مزاري
بأبي فتية الحمى وبنفسي — قرويين زينوا بالوقار
ما أحيلاهم سراعاً إلى الكدح — تمشوا في همة واقتدار
جبلوا من مودة ووفاء — خلقوا من مروءة واصطبار
سبقوا مطلع الغزالة للسعي — وزانوا جباههم بالغار

شمسة

د. عبد القادر الحلي

كنت رفيق والدتي الدائم أيام طفولتي في ذهابها إلى القرى المجاورة رغماً عني لحمايتها من كلاب القرى الريفية الشرسة. ولأني كنت الطفل الوحيد في الأسرة، كانت والدتي ترى من واجبها القيام بالواجبات كلها ابتداء بالتهاني بأنواعها، وكذلك التعازي، ولهذا كنت حين الطلب جاهزاً لمرافقتها، ولا تنفع جميع الاعتذارات والحجج من التعب أو التمارض أو طلب التأجيل إلى وقت آخر.

رافقتها مرة إلى قرية مجاورة لا أذكر ماذا كانت المناسبة، وقبل وصولنا إلى القرية بقليل على يسار الطريق، كانت تتوزع بعض القبور، وقفت أمي وفتحت يديها، وقرأت الفاتحة مرتين، واحدة لروح عمي المتوفى، والثانية سمعتها تقرأها لروح شمسة. كنت في عمر أدرك أقاربنا المتوفين، ولم أكن أعلم من هي شمسة؟؟ ظننت لوهلة أنها من أقاربنا البعيدين، وبقي اسم شمسة عالقاً في الذاكرة لأني حرمت من الخالة والعمة.

بعد سنوات تكرر الأمر مرة أخرى، وحينها سألت والدتي عن شمسة في طريق عودتنا، تنهدت أمي، ثم قالت الله يرحم روحها ما كان لمثلها أن تسعد في حياتها.

مع أن المسافة لا تتعدى الثلاثة كيلومترات إلا أن والدتي قضت أكثر الطريق وهي تترحم عليها وتختنق بعبرتها أسفاً على شبابها.

للقبيلة شرور كثيرة وأقلها شراً هو ما تواجهه الفتاة الوحيدة لأبيها بعد وفاته، كما حدث لشمسة حين توفي والدها وهي في عز شبابها. قالت والدتي بعد أيام العزاء الثلاثة اجتمع أعمامها وأولاد عمومتها لتقاسم التركة من أغنام وخيول وبيت بمحتوياته وهي المخلوقة العاجزة أصبحت جزءاً من الميراث.

بعثوا إليها يخبرونها بما تم الاتفاق عليه من توزيع الإرث، وأنها صارت من نصيب أحد أولاد عمومتها.

خرجت شمسة على ضجيج وصخب خارج البيت، فوجدت القوم يتقاسمون الأغنام وبقية الحلال، عادت إلى البيت وأخذت بندقية والدها، وخرجت إليهم وصاحت بهم إذا لم تتركوا كل شيء وتعودوا إلى بيوتكم سأجعلكم حديثاً للعرب لزمن طويل. كلهم يعرفون طباعها الحادة وشجاعتها وكيف وقفت إلى جانب أبيها في ظروف مماثلة وأرغمت القوم الانصياع لرأي أبيها. كانت تعرف تماماً الأصول، وأن رفضها لن يمنعهم إلا لأيام من تطبيق هذا العرف القبلي غير القابل للتأجيل أو التأويل، ولكنها محاولة ربما تغير بعض الأمور التي تفكر فيها.

بعد أيام أرسلت لهم رأيها وموقفها وشرطها الوحيد ألا وهو أن يزوجوها لشخص هي تختاره ويتقاسمون ما تبقى، أما إذا رفضوا فلن تدعهم يأخذون شيئاً، وستبقى في بيت أبيها إلى آخر يوم في حياتها.

تشاور القوم واتفقوا على أن يتركوا الخيار لها. أرسلت شمسة لحبيبها أن تعال اخطبني من أعمامي، أرسل من يخطبها فوافق أعمامها على الفور، وبدأ العرس وشمسة تستعد لأجمل يوم في حياتها.

عودة لإرث القبيلة الثقيل، الإرث الذي تتوارثه الأجيال من بعضها كالثأر، وإن مرّ عليه عقود وأجيال، فالعريس إسماعيل وأقاربه مطلوبون بثأر لقبيلة أخرى في تركيا التي لا تبعد سوى ثلاثين كم، ويبدو أن أصحاب الثأر علموا بقصة زواج إسماعيل وقرروا أخذ ثأرهم في ليلة العرس. في ليلة العرس نصبوا خيمة للزواج وزفوا شمسة لعريسها وتفرق القوم كلٌ إلى بيته.

خرج العريس ليلاً لقضاء حاجته، وإذ بشمسة تسمع طلقتين تردد صداهما في عتمة الليل. توقعت أنهما احتفاءً بالعرس من أحد الأقارب، لكنها خرجت من الخيمة تستطلع الأمر فوجدت حبيبها ممدداً على الأرض ليس ببعيد عن الخيمة. ركضت إليه ورفعت رأسه لتجده قد فارق الحياة، فصرخت صرخة جمعت أهل القرية، واختلط الصراخ بالنحيب بالدهشة التي عمّت الوجوه فحملوه إلى خيمته واجتمعت النسوة حوله ممدداً حتى الصباح.

قالت والدتي سمعنا في الصباح ما حدث، وتجمعنا نسوة القرية وتوجهنا إلى قريتهم بين مصدقين ومكذبين هول ما حدث. وصلنا إلى هناك وانضممنا للبقية بين معزيات وبواكي شباب العريس الذي هُدر غدرا ليلة عرسه. حملوا العريس إلى مثواه وبدت شمسة شاحبة بلا روح وبالكاد تتنفس. حينما أدركت شمسة أنهم حملوه إلى مثواه الأخير، خرجت ثم عادت بعد دقيقة تحمل بارودة عريسها وطلبت من إحداهن أن تندب العريس وشبابه المهدور على مذبح القبيلة. بدأت الندابة تقول كلماتها المبحوحة وشمسة تتكئ على فوهة البارودة مقابل قلبها. وفي لحظة لم تدركها النسوة دوت طلقة مكتومة، سقطت على إثرها شمسة والبارودة إلى جانبها. ذهلت النسوة مما حدث وقمن إلى شمسة يقلبنها وقد فارقت الحياة ولحقت بعريسها.

الغوطة..!

طارق عبد الغفور

أحياناً يفقد المرء القدرة على التركيز، وينعقد لسانه من الدهشة فلا يستطيع التعبير عمّا يعتمل في صدره إزاء أمرٍ ما أو شيء ما يراه، وقد يكون ما يراه بسيطاً غير معقّد، وربما يكون قد رآه من قبل أكثر من مرة فهو مألوفٌ لديه، ومع ذلك يقف مبهوتاً ولا يجد ما يقوله.

ومما ساعد في التخفيف من هذا الشعور عندي وإن لم يستطع إزالته تماماً كان أنني لم أكن وحيداً في الإحساس به، فمنظمة اليونسكو هي الأخرى أحست به فأصدرت بياناً معبراً تماماً عنه هو عبارة عن صفحة فارغة قالت في تبريره إنها لا تجد الكلمات المناسبة لوصف معاناة أطفال الغوطة.

أعني هنا ما يجري في الغوطة، وأعني قرار مجلس الأمن الأخير بشأن هدنةٍ لثلاثين يوماً أفرغته روسيا من مضمونه بما مارسته من ابتزاز أثناء مناقشته، فكان أن أُعيدت صياغته أكثر من مرة لينضم بعدها إلى مجموعة القرارات المماثلة التي لا تساوي الحبر الذي كُتبت به والتي صدرت عن المجلس المذكور المتعلقة بالأزمة السورية.

وليس هذا القرار وحده هو ما يبعث فيك مثل هذا الشعور، فإن أنت أجلت الطرف لوجدت في ما يدور حولك الكثير مثله، فماذا يمكنك أن تقول حين ترى وزير خارجية روسيا هو الذي يتحدث عن إمكانية هدنة في الغوطة، وعن كونها واقعية أم لا، وعن الأطراف التي تشملها، ويقرر هدنة خاصة به يحددها بخمس ساعات في اليوم، ويتحدث في الشأن السوري عموماً وخصوصاً، بينما يصمت صمت القبور وزير خارجية النظام وبقية رموزه وكأن الأمر لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد؟

وماذا يمكنك أن تقول حين ترى السيد ماكرون يطلب من الرئيس التركي أن تشمل الهدنة منطقة عفرين وهو يرى أنها لم تبدأ بعد في الغوطة وأن نظيره بوتين يدوسها بـ«بوتينه» هناك؟

وماذا يمكنك أن تقول حين تسمع رئيس «المتفاوضين» في تعليق له على قرار مجلس الأمن وهو يتهم نظام الأسد بأنه يخرق القرارات الدولية ولا يلتزم بها؟

وماذا يمكنك أن تقول حين ترى «المتفاوضة» الأستاذة ربا حبوش على شاشة تلفزيون الحدث وهي تكشف سراً لم يسبقها إليه أحدٌ من المتفاوضين إذ تقول: إن الجهود التي قامت بها الهيئة العليا للمفاوضات في جولتها «السياحية» الأخيرة في أوروبا وأمريكا كانت من الأسباب الرئيسية وراء صدور قرار مجلس الأمن رقم 2401 حول الهدنة في الغوطة!!!؟

وماذا يمكنك أن تقول حين تسمع قيادياً كبيراً في جيش الإسلام يتوعد مائتي مقاتل من جبهة النصرة ليست لديهم مقرات، وليست لديهم أسلحة ثقيلة، ولا يقومون بأي جهد عسكري كما يقول «مستضيفوهم» من فصائل الغوطة، باللجوء إلى خياراتٍ مفتوحة لإخراجهم من الغوطة جبراً إذا لم يخرجوا منها طواعية، وهو الجيش نفسه الذي لم يلجأ من قبل إلى أية خيارات لا مفتوحة ولا مغلقة تجاه من يُفترض أنه عدوّه بل «انتشى» بإقامة العروض العسكرية في دوما؟

ونبقى في دوما عاصمة الغوطة الشرقية ونتساءل بخوف وقلق هل يمكن أن تسقط دوما وتسقط الغوطة الشرقية ولا تصمد أمام هذه الهجمة المتوحشة؟ ما من حرٍّ يتمنى ذلك، لكن تمنياتنا يجب ألاّ تقف عند صمود الغوطة، بل يجب أن تتعدّاه إلى النصر، إلاّ أن دروس التاريخ القريب والبعيد تخبرنا أن الدفاع وحده لا يجلب النصر إذا لم يقترن به أو يلحقه الهجوم، ستالينغراد صمدت، ولكن هجوم الجيش الأحمر على النازية هو الذي جلب النصر، وبريطانيا صمدت أمام الغارات الجوية الألمانية، ولكن هجوم النورماندي هو الذي جلب النصر.

وبغضّ النظر عن رأينا في ما آلت إليه عسكرة الثورة وما جرّته من عقابيل، وبغضّ النظر عن خيار الحلّ العسكري والحلّ السياسي للأزمة السورية، وبالنظر إلى ما يجري على الساحتين السياسية والعسكرية، فهل يكون مبرراً خوفنا على الغوطة من أن تسقط؟

بلا ضفاف

غسيل الأخلاق..

أمجد آل فخري

عندما ينقلب «الأندبوري» « باشا» بين ليلة وضحاها، ويتحوّل الشحّاذ واحداً من الأغنياء الأسطوريين في طرفة عين، فلا بدّ من حِشْريّ يدسّ أنفه ليعرف ما عجز عنه فلاسفة بيزنطة. ولكي تقطع القطط السِّمان الطرق على «الحشّورين»، تزرع شركاتها المنتجة وغير المنتجة في كلّ مكان، ومشاريعها الإنمائيّة والعمرانيّة والخدميّة في كلّ مجال، ولا تنسى «زادها الله ذكاءً» الفقراء المعدَمين من نعمة مشاريعها الخيريّة تغطيةً للمصدر المجهول لهذه الأموال الطائلة التي صارت إليها، وتمويهاً لأصحابها. فقد تكون مسروقةً أو منهوبةً، أو محوّلة عن تجارة لا شرعيّة (مخدّرات، تهريب،...، أو من بيع جزء من الوطن..)! وهو ما يسمّى غسيل الأموال.. وهذا الغسيل في قانون القُضاة «جريمة لا تُغتَفر»، وفي عُرف الاقتصاديين «مسألة فيها نظر»!!

وغسيل الأموال سابقٌ لما ندعوه «غسيل الأخلاق» الذي تجلّى وسطع مع الثورة السوريّة المباركة التي أغرت البشر بالتطهُّر، ودفعت العالم من حولها بشراً وتنظيمات وأنظمة، وقادة ودولاً، إلى غسيل أخلاقهم كي يَحسُنَ لقاؤهم ببارئ الأرواح، وأحبار التاريخ، ومتصفّحي الأنترنيت؛ فالثورة «في الفتوى» تجبُّ ما قبلها!

فالتاجر الذي كان يحتكر الأقوات، أضحى (راغباً أو راهباً) خيّراً محبّاً للمحتاجين من نازحين ومشرّدين، يوزّع سِلالاً غذائيّة، غسيلاً لأخلاقه! والشّبّيح «المُخبِر» الذي اكتوى بناره الشباب الناشط في المظاهرات، أمسى يشارك حتى في الأعمال القتاليّة فيما بعد، غسيلاً لأخلاقه!

والموظّف المكلّف توزيع الأراضي على الفلاحين، كان يحدّد لمن يُجزل له العطاء غصباً أو احتيالاً أو بالتراضي أجود القطع، صار بعد خروج الشعب مطالباً بالحريّة والكرامة «ثورجياً»، يزجّ بنفسه في «ميادين الثورة»، وربّما من حكمائها، غسيلاً لأخلاقه! والكاتب أو الصحفيّ يشتم اليوم من كان يؤلّههم البارحة، ويكتب في تقريض الثورة مذهّبات من بديعيّات الكلام، غسيلاً لأخلاقه! والسياسيّ الهزيل الضعيف الذي لا يدرك إلا المراوغة اللامجدية طيلة أربعين سنة، واللعب على حبال السلطة، والمتنفّذين من محدثي النعمة والمبشّرين بالمناصب، فيسفّه الأفكار، ويتفّه أيّ طرح لا يتّفق معه، ويشتم ويلعن كلّ من يعارضه، ينزل الشارع لأوّل مرّة، ويلتقي الناس، غسيلاً لأخلاقه! والنظام السوريّ القاتل، أيضاً، غسل أخلاقه بتسليمه سلاحه الكيمياويّ، بعد أن قتل به الآلاف! ويدّعي القتال من أجل السيادة بعد أن باع الوطن قراره لمحتلّين وقَتَلة مأجورين لصالح سيّد «الوطن»!

وهذا الغسيل لا نجده بيننا -السوريين- على أرض الواقع فحسب، بل صار «موضة» عالميّة أيضاً، فعرب الخليج الذين يعملون بمبدأ «حوالينا ولا علينا»، راحوا يدعمون ويموّلون، بل ويحاربون «سياسيّاً وإعلاميّاً» ذوداً عن شعب سورية الشقيق، غسيلاً لأخلاقهم!

و»وليّ الفقيه» خامنئي، غسيلاً لأخلاقه؛ يدعو السوريين للحوار برؤية إيران، وإيجاد حلول سلميّة للصراع، تبدأ بالركون لاحتلاله، ولا تنتهي صكوك الجنة لمن يقاتل معه! وغسيلاً لأخلاقه! «بوتين» الذي يقتل السوريين ويقايض بدماء أطفالهم، فبدلاً من قرار مجلس الأمن 2401 الذي مرّره ولم يفعّله، يأمر بهدنة خمس ساعات يومياً، تخفيفاً لمعاناة مدنيّي الغوطة الشرقية، وهو المعطّل لقرارات مجلس الأمن التي حاولت إنهاء المعاناة؟

وكذلك الأوربيّون يدعون للضغط على النظام لإيقاف المقتلة السورية غسيلاً لأخلاقهم! لأنهم قبلوا بتأهيله، وتركوا الشعب تحت رحمته، وهم يتفرّجون..

أمّا «ترامب» فقد غسل أخلاقه بضرب مطار الشعيرات بعد استخدام النظام للكيماوي؛ ليثبت عودة أمريكا للعب دورها على الخشبة السورية! وقد سبقه «أوباما» عندما جرّد النظام من بعض السلاح الكيماويّ بتوجيه أساطيله إلى البحر المتوسّط!

تُرى.. ألا يرغب العالم المتمدّن المتحضّر بغسيل أخلاقه؟

القتل المستمرّ «بالجملة والمفرّق» لسبع سنوات، واستخدام كل أنواع الأسلحة المحلّل منها والمحرّم وتجريب ما لم يستخدم بعد، والتغييب القسريّ المعلن أو المستتر، والسجن والتعذيب والإذلال، والتجويع بقصد «التركيع»، وإفراغ البلاد من أهلها، وإحراقها، والتشبيح «الطائسيّ» والاحتلالات المختلفة الأسماء والصفات، ومساندة النظام المطيّفة متعدّدة الجنسيّات، وتدمير البلاد وتهجير العباد، ألا تستحقّ غسيلاً لأخلاق العالم؟!

لقد فعلها العالم ويتابع «غسيل الأخلاق»، عبر مؤتمرات ومناورات ومقايضات ومحاورات واجتماعات ومفاوضات ومناشدات وتقسيمات وتوافقات وتحالفات وتصنيفات ومزيد من السلال الغذائيّة والمخيّمات والأسوار العازلة للاجئين والنازحين، وبكائيّات التسوّل بمعاناة السوريين والمتاجرة بآلامهم، لتكون قضيّة معاناة إنسانيّة إغاثية تُذرف من أجلها الدموع، لا ثورة شعب هبّ طلباً للحريّة والكرامة، ودفع الدم ثمناً لما يتمتّع به البشر سواه.

العلاقة ما بين السياسة والاقتصاد
-مقاربة معرفية (إبستمولوجية)-

قصي مسلط الهويدي

للوهلة الأولى، تبدو تلك العلاقة من الوضوح، بحيث أنها لا تحتاج إلى كبير عناء لرصدها! فقد نقول بأنهما يتبادلان الإخضاع والخضوع فيما بينهما تبعاً لنمط الدولة: ففي الدول ذات الطابع «الشمولي» عموماً؛ تكون الأولوية للسياسي على الاقتصادي، حيث تقوم بإخضاعه، قسراً، لمقتضياتها ولمقتضيات الأيديولوجيا التي تصدر عنها.

هنا يكون الناظم: الأيديولوجيا. والنتيجة: «المثالية/ الاستيهامية» السياسية؛ حيث تغدو «الأهداف» ضبابية وبعيدة عن «الواقع» كما أنها غير قابلة للرصد والقياس. أما في الدول ذات الطابع «التعددي» الحر -دول السوق/ الاقتصاد الحر- فتكون الأولوية للاقتصادي على السياسي، إذ يقوم بإخضاعها تبعاً لاحتياجاته واحتياجات السوق عموماً.

ويكون الناظم هنا: المصلحة/ المنفعة. وتكون النتيجة: الواقعية السياسية؛ وتغدو «الأهداف» محددة ومطابقة للواقع، فضلاً عن قابليتها للرصد والقياس.

ولكن: هناك دول كثيرة ذات طابع «شمولي» وأحياناً تكون ذات طابع «شمولي» على أساس «أيدولوجي» ومع ذلك اختارت الشكل «الاقتصادي الحر» لكنها بقيت -رغم ذلك- تخضع للسياسي ودوافعه ومقتضياته، وتُخضِع الاقتصادي له: دول الخليج؛ إيران... مثالاً

إذاً: العلاقة أكثر تعقيداً وتشابكاً مما بدت لنا. فبغض النظر عن قبولنا بذلك «الرصد/ التصنيف» وعن صحته، إلا أنه يسكت عن حقيقة مهمة: حقيقة أن السياسة والاقتصاد كليهما؛ يخضعان بشكل كامل ومباشر «للاجتماع» وشكله ودرجة تطوره، وهو الذي يملي ويفرض شكل العلاقة بينهما، ويحدد لأيهما تكون الأولوية، من خلال فرض نمط الدولة السائد.

كما أنه يسكت عن حقيقة أن نمط الدولة ذاك، يُخضع كل شؤون «الحياة» لمقتضيات واحتياجات النمط الذي يصدر عنه!! وعلاوةً على كل ذلك؛ هو لا يفسر لنا تشابك تلك العلاقة وتداخلها أصلاً.

لنحفر في منطقةٍ أخرى، ولنقارب تلك «الإشكالية» بشكلٍ مختلف قليلاً: بما أن أصل «الحكاية» هو الاجتماع، والذي تطور عن «الأسرة» مدفوعاً باحتياجاتها إلى «البقاء» وما ترتب على ذلك من ضرورات «الملكية» التي توسعت وتطورت وصولاً إلى: الدولة

إذاً؛ لننظر إلى «الملكية» بشكل أكثر اتساعاً، ولنحاول أن نجد «الحقل» المشترك؛ الذي يتداخل فيه تينك اللاعبان (السياسة والاقتصاد)

هنا نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع: رأس المال! والذي يجب أن ننظر إليه بكل مكوناته: المادية والرمزية؛ إذ يمكن اقتراح التقسيم الإجرائي التالي له:

- رأس المال المادي: بشكله المعروف والمقنن، والذي اختص «علم الاقتصاد» بإدارته.

- رأس المال الرمزي (والذي يمثل واحداً من المفاهيم المبدعة التي قدمها عالم الاجتماع الفرنسي الأبرز بيير بورديو) ويقصد به: «تلك الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة كالشرف والهيبة والسمعة الطيبة والسيرة الحسنة والتي يتم إدراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع»، وقد لاحظ من خلال دراسته لمفهومي «الشرف والعار» (بالمعنى الشرقي لهما) باعتبارهما مؤشرين على امتلاك رأس المال الرمزي، أو فقدانه، لمجتمع القبائل في الجزائر، ومجتمع الفلاحين في منطقة (بيرن) الواقعة في جنوب غرب فرنسا، أن ثمة اختلاف بين المجتمعين فيما يتعلق بمفهومي «الشرف والعار» فعلى الرغم من أن كلا المجتمعين مجتمعان فلاحيان تقليديان وينتميان لثقافة البحر المتوسط، إلا أن «الشرف والعار» في مجتمع القبائل يعد شأنا «اجتماعياً يخص المجتمع بأسره» بل يؤدي دوراً في تحديد علاقات الجماعات بعضها ببعض، بينما هذا الأمر في بيرن لا يعدو أن يكون مجرد شأن يخص الفرد فقط، وبالتالي: لا يمثل الشرف أو العار جزءاً من رأس المال الرمزي.

هنا بالضبط؛ يكمن «المعيار»: فما لا يحمل قيمة «جمعية» لا يشكل جزءاً من رأس المال الرمزي (وهذا ينطبق أيضاً على رأس المال المادي)، لكن الأهم -من وجهة نظرنا- أنه يُكتسَب فقط من خلال «السلوك الحميد» ضمن المعايير الجمعية، وأنه يؤول في المآل الأخير إلى: رصد ذلك «السلوك الفردي والجمعي» وتقييمه ضمن «المعايير القيمية المثالية» العامة، وهي معاييرٌ تتباهى بمثاليتها، التي تقف -غالباً- على التضاد مع «المعايير المادية» وبالتالي؛ تحكمهما (أي: رأس المال المادي ورأس المال الرمزي) قوانين، تكون غالباً، متضادة.

كما أن هناك فارقٌ/ تضادٌ جوهري بينهما:

فرأس المال الرمزي يزداد ويكبر؛ كلما بُذل للآخرين «دون مقابل» وجُعل في خدمتهم. كما أنه يزداد بازدياد المنتفعين به دون مقابل أيضاً.

أما رأس المال المادي؛ فعلى العكس من ذلك، إذ أنه يتناقص في هذه الحالة وينفد! ويجب «الاستئثار» به دون الآخرين.

يبقى أن نضيف: بما أن السياسة هي «الناظم للسلوك الجمعي» فإن إدارة هذا الشق من رأس المال (الرمزي) قد استأثرت بها «السياسة»

إذاً: يشترك كلاً من السياسة والاقتصاد، في إدارتهما لرأس المال بشقَّيه، حيث:

- استأثر «الاقتصاد» وعلومه، بإدارة رأس المال المادي

- واستأثرت «السياسة» وعلومها، بإدارة رأس المال الرمزي.

وبما أن ما استأثرا بإدارته، من طبيعتين متضادتين، وكذلك قوانينهما الخاصة متضادة؛ كانت لهما (أي: الاقتصاد والسياسة) أيضاً قوانين تتصف بالتضاد -في معظمها- هي الأخرى؛ مما أدى إلى أن: مقاربة أحدها بقوانين الآخر، تكون نتائجها كارثية في أغلب الأحيان (إن لم يكن دائماً على المدى البعيد).

وكخلاصة نقول: إن السياسة والاقتصاد يحكمهما الاشتراك في إدارة «رأس المال» بشقيه، وهي علاقةٌ تحكمها «قوانين متضادة» تفرض على من يقارب أحدهما من خلال الآخر؛ الانتباه إلى ذلك التضاد، وأخذه في الحسبان، إذا أردنا تجنب النتائج الكارثية، الناتجة عن الخلط. كما أنه يجب الأخذ في الحسبان «التباينات الثقافية» للمجتمعات، ودرجة تطور أشكال الاجتماع فيها، وعملية ضبط «المعايير العامة» لتحديد ما هو داخلٌ في رأس المال الرمزي، وما هو خارجه، إذ أن تلك المعايير، ودرجة مرونتها، وحدود «الحريات الفردية والجمعية» فيها؛ هي التي تحدد شكل العلاقة مع الجوانب الأخرى، ومنها الاقتصاد.

من هنا نشأت العلاقة «الشائكة» بينهما، وأخذت هذا الطابع «الملتبس» والذي يبدو تبادلياً، وهو ليس كذلك أبداً، وهنا نرى أن تسلط أحدهما على الآخر؛ ما هو إلا «قمة جبل الجليد» فحسب، وهنا يجب الاشتغال.

آراء أهل الثقافة في ثورات الربيع العربي

مازن أكثم سليمان- عبد الرحمن شرف- عماد زهير الأسود- حمزة رستناوي

هل من المبكر الحكم على ثورات الربيع العربي؟ هل هي ثورات أم يوجد عناصر أو مناظير توصيف أخرى يمكن إضافتها؟ إذا كان مبكرا الحكم عليها، هل يمكن استشراف آفاقها؟! ما هي إيجابياتها؟ ما الدروس المُستفادة من تجارب الربيع العربي؟ ما دور المثقف في هذه الثورات؟ هل هي ثورات فاشلة أم ناجحة؟ لماذا لم تحقق أهدافها حتى الآن؟ بسبب التدخلات الخارجية والغربية والروسية والإقليمية؟ أم لوجود عائق بنيوي في الثقافة العربية الاسلامية؟ لنستطلع آراء أربعة كتاب سوريين في محاولة الاجابة.

مازن أكثم سليمان- شاعر وناقد أكاديمي

يستمدّ مصطلح (ثورات الرَّبيع العربيّ) شرعيته المفهوميّة من المُستوى الموضوعيّ الذي أنتجه؛ فهذه الثَّورات ناجمة عن تقاطُع سياقين لا فاصل حديّاً بينهُما، وهما: السِّياق العربيّ السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ الذي شكَّلته عبرَ عقود مجموعة من المُحدِّدات الاستبداديّة والاحتقانات الاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة، والسِّياق العالميّ ما بعد الحداثيّ بوصفِهِ سياقاً تأريخيّاً للحدَث العربيّ؛ أي بوصف الرَّأسماليّة في مرحلة العولمة وثورة الاتّصالات والرَّقميات قد ساهمت بدورٍ عميق في تأسيس التربة المُلائِمة لانفجار ثورات الرَّبيع العربيّ، حيثُ كان الواقع العربيّ مُنتمياً بالمعنى التَّحقيبيّ لهذه المرحلة. إنَّ قراءة صيرورة ثورات الرَّبيع العربي في اعتقادي، ينبغي أن تكون خارج المنطق الثُّنائيّ الميتافيزيقيّ؛ بمعنى أنَّ الأجدى من التَّساؤل عن نجاح هذه الثورات أو إخفاقها، هو الانتقال في التَّحليل من المستويات الجزئيّة والزمنيّة الخطّيّة إلى المُستويات الكُلِّيّة والاختلافيّة، وهو الأمر الذي يعني أنَّ فَجوة وجوديّة عربيّة/ كونيّة قد انفتحَتْ بكُلّ مُعطياتِها الإيجابيّة والسَّلبيّة، وأضحى الأفق مُلائماً للعمَل والانخراط في الصِّراع الحضاريّ القائم على كيفيات تشكيل التَّغيير وبسطِهِ، لأنَّ هذا التَّغيير قد تمَّ فعليّاً منذ اللحظة الأولى لانبثاق هذه الثَّورات، ولا يُمكن إعادة عقارب السّاعة إلى ما قبلها، لذلكَ يبقى هذا المُنفتَح بوصفه فَجوة اختلاف غير قابل للتَّحكُّم أو الإخضاع التَّمثُّليّ النِّهائيّ والحاسِم؛ إنَّما هو محكوم بالمُحتمَل والمُمكن والنِّسبيّ، وعلى القوى المُؤمنة بالدّيمقراطيّة والتَّعدُّديّة ودول المُواطنة أن تعيَ دورها المصيريّ الخطير والمُواجِه لجميع القوى الاستبداديّة المحلّيّة والعالميّة التي تحاول عرقلة دوران عجلة التاريخ.

عبد الرحمن شرف- كاتب

من المقبول أطلاق تسمية ثورات الربيع العربي، لوجود علاقة بين دال المصطلح ومدلوله ضمن الثقافة، الشعب كان يسعى لإحداث تغيير نحو للأفضل. لم يكن قيامها عن عبث بل جاءت بعد أن رزخت هذه الشعوب تحت تسلط ونفوذ الأنظمة الحاكمة واستنفدت فرص الإصلاح والتغيير، وساءت أوضاعها الاقتصادية والتعليمية مع فقدان الحرية والعدالة، وهذا أحد أهم الأسباب لقيامها. شعوبنا العربية تتأثر ببعضها وبأوضاعها الداخلية، وقد عانت من هيمنة القوى الخارجية عليها بعد أن دعمت الدول الكبرى هذه الأنظمة الشمولية ورعتها. الحدث الثوري ليس لحظة أو يوم أو سنة أو عشر سنين، لا يمكن الحكم على نجاحه وفشله الآن، بل هو مسيرة دائمة تجدد من نفسها كل يوم، وهو لا يتوقف على جانب واحد من جوانب الحياة، الثورة تأتي على معظم جوانب قصور المجتمع، وتمر بمراحل متعددة تتراجع فيها للوراء أو تتقدم.

أحد سلبيات هذه الثورات: استغلالها من قبل حركات وفصائل وأصوات -سواء كانت مناهضة للثورة أو مع الثورة- يحركها بُعد عقائدي وقومي أحادي عنصري حيث ثقافتنا تربة خصبة لها، وليس يحركها روح التاريخ والتغيير الحيوي.

بينما من إيجابيات ثورات الربيع العربي: ظهور أصوات وحركات ووعي شعبي يطالب ببناء الدول الحديثة دولة المواطنة، وتحقيق العوامل اللازمة لهذا المطلب، ومعاقبة مجرمين الحرب وتحقيق السيادة الداخلية للدول.

عماد زهير الأسود- كاتب

في قراءة سريعة لاحتجاجات ما سُمِّي بالربيع العربي عامي 2010-2011 يمكن ملاحظة أن معظم هذه الثورات تتشابه نسبياً في أسبابها، كون الواقع العربي كان متشابه من حيث وجود أنظمة استبدادية وفساد حكومي نتج عنه وضع اقتصادي مزري وتفشي البطالة بين الشباب الذي فقد الأمل بالإصلاح، كون الأنظمة التي ثار عليها قد حكمت لعقود دون تحقيق أي إصلاح حقيقي من حيث استمرارها بقمع الحريات والغائها التعددية السياسية وترسيخها للاستبداد، كل ما سبق كان مسوغا للقيام بثورة/ حراك من أجل الانتقال من نظام استبدادي الى نظام ديموقراطي. هذه الرغبة في التغيير والتحرك هو ربيع بحد ذاته، فخروج الشباب إلى الساحات ومطالبتهم بالتغيير إلى الأصلح بشكل علني وكسرهم لحاجز الخوف من القوى القمعية الأمنية هو تغيير إيجابي يبعث على التفاؤل.

تختلف مآلات هذه الثورات باختلاف الأبعاد المكونة لها، فلكل دولة أو كيان سياسي خصوصية وظروف متهيئة لنجاح أو فشل الثورات، صحيح أن الثورات انتهت إلى ترسيخ استبداد جديد في مصر أو دولة فاشلة كلياً أو حرب سنية -شيعية كما في سورية، لكن الأنظمة التي قامت عليها هذه الثورات تتحمل القسم الأكبر من مسؤولية مما وصلت إليه هذه الدول من كونها لم تستثمر هذا الزخم الشعبي الكبير في تحقيق إصلاحات حقيقية وانتقال سلمي للسلطة، بل واجهت هذا الحراك بعنف مفرط كما في سورية، حيث استقدمت السلطة السورية ميليشيات طائفية للقتال بجانبها وارتكبت عدة مجازر موثقة دولياً، كل ذلك -بالإضافة لعوامل أخرى- أدى الى نمو التطرف وأسلمة الثورة، هذا ما مكن قوى الإسلام السياسي من تمرير مخططاتها بتحويل الثورة إلى صراع مسلح بعيد عن تطلعات الشعب المشروعة بالحرية والعدالة. كما تتحمل تنسيقيات الثورة قسماً كبيراً من فشل الثورة، كونها كانت مجهولة الهوية، وعملت على أسلمة الحراك الشعبي للحصول على دعم خارجي للثورة بدلاً من الاعتماد على مقومات النجاح الداخلية، مما أدى إلى زيادة الشرخ بين مكونات الشعب السوري وتحويل الثورة إلى حرب أهلية، ومثال ذلك أسماء التظاهرات الشعبية التي انطلقت بجمعة الكرامة آذار 2011 لتتحول إلى جمعة «أحباب رسول الله يذبحون في سوريا» أيلول 2011 دون أن ينقص ذلك من مسؤولية النظام الذي دفع الثورة بهذا الاتجاه. يمكن الاستفادة من الثورة السورية بدروس كثيرة أهمها:

1- اعتماد العلمانية كركيزة أساسية في أي حراك مستقبلي كون ثمن أسلمته باهظ جداً ومحكوم مسبقاً بالفشل.

2- عدم الانجرار إلى العنف أو تقنين استخدامه إلى الحدود الدنيا.

3- الاعتماد على مقومات النصر الداخلية وعدم استجداء الخارج لما له من أثر في تمرير سياساته ومصالحه التي قد لا تنسجم مع أهداف الحراك.

4- التطرف لا ينشط إلا في بيئة قابلة لاحتضانه لذلك يجب تحصين المجتمع ضده، بتكوين هوية وطنية يكون الانتماء فيها للوطن وليس للفرد أو العقيدة كما حصل مع الهوية الأسدية.

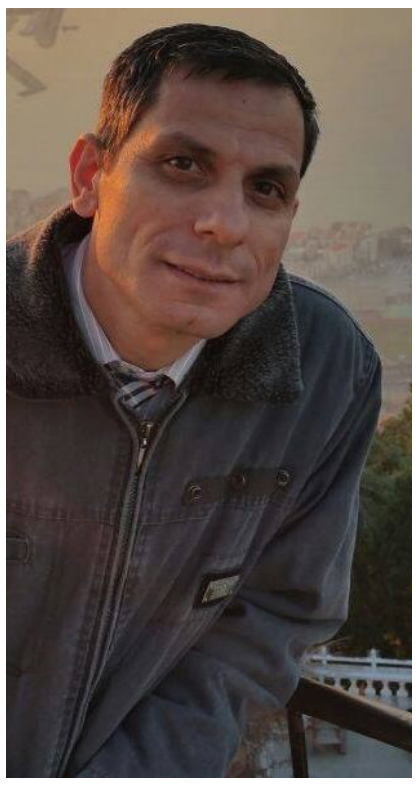

حمزة رستناوي- مؤلف وشاعر

أميل شخصياً إلى تسميات من قبيل: الثورة/ الحرب السورية، الربيع/ الخريف العربي.. لوجود مركّبات أخرى في واقع وصيرورة الحدث تبرر ذلك. قناعتي أن ثورات الربيع العربي قد انتهتْ إلى الفشل فسبع أو ثماني سنوات هي فترة كافية للحكم على هكذا تجارب أو لنقل كافية لاستبصار طريق هذه الثورات، فأن تنتهي الثورة إلى ترسيخ حكم ديكتاتوري جديد أو أن تنتهي الثورة إلى دولة فاشلة، أو أن تنتهي الثورة إلى حرب عالمية بالوكالة، وبروز مذبحة طائفية سنّية شيعية هو فشل بالتأكيد! لا أستطيع أن أكون متفائلاً في المستقبل القريب والمتوسط، وذلك لضعف حضور قوى حيوية فاعلة في ميزان القوى المُتصارعة حالياً، مثلاً في سوريا الهوية الوطنية السورية تزداد تمزّقاً بالشرخ الطائفي، ولم تظهر حتى الآن قوى حيوية منافسة أو بديلة للسلطة الأسدية ضمن المجتمع السوري. من الضرورة بمكان الامتناع عن وصف ثورات الربيع/ الخريف العربي بالفشل بمعزل عن وصف الأنظمة الاستبدادية الحاكمة التي قامت عليها هذه الثورات بالفشل أيضاً وبُحكم مُشدّد. كانت هذه الثورات استجابة طبيعية لانغلاق الأفق الاجتماعي السياسي والاقتصادي وتغوّل دولة القهر. هي ثورات عفوية -وكذلك معظم الثورات- ولكن بعد فترة من عمر الثورات إذا لم تنجح في تنظيم نفسها سياسياً وعسكرياً، وتقديم طروحات فكرية متماسكة ومتقدمة سوف تنتهي إلى الفشل، وهذا درس مُستفاد. الثورات كانت تنادي بالحرية، ولكن الترجمة العملية الواضحة للحرية كالديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان لم تكن حاضرة بما يكفي.

ثورات الربيع العربي إحدى نتاجات العولمة، بغياب التطوّر العلمي التكنلوجي المعلوماتي مُمثلًا بالبث الفضائي ووسائل التواصل الاجتماعي كالفيسبوك واليوتيوب ربما كان صعباً قيام هذه الثورات لذلك هي من نتائج العولمة وتجلّيات ما بعد الحداثة. ما بعد الحداثة لا تغني عن الحداثة، إذا اعتبرنا أن أهم ركائز الحداثة سياسياً هي العقلانيّة السياسية ودولة المواطنة المتساوية، هذا المفهوم الحداثي للدولة لا نستطيع تجاوزه فقط بالانتقال إلى ما بعد الحداثة من خلال التكنلوجيا وفورات الهويات ما قبل الوطنية (الدينية والقومية والقبلية).

من إيجابيات ثورات الربيع العربي -1 تحطيم فكرة الأبد (إلى الأبد إلى الأبد يا حافظ الأسد- مشاريع التوريث) وبالتالي أصبح التغيير ممكناً، صحيح أنّ الثورات لم تنجح ولكن تأليه الحاكم والاستبداد لن يدوم. 2 - كشفت عورة تيارات الإسلام السياسي (سنّياً وشيعياً) وتهافتها وتبعيتها لأجندات غير وطنيّة. لا يتوقف التاريخ عند حدث معين، والهزيمة الحاسمة تكون في القنوط وانطفاء شعلة الحياة والحرية في الإنسان والمجتمع.

أطفالنا والوعد

جنان الحسن

أصابعي تعاندني
لا تقوى على الكتابة
اليوم..
مصابة بالهذيان هي..
دب الوهن فيها
واشتعل الشيب في أطرافها
كلما أحصت شهيداً
أضاعت حرفاً..
وفتحت جرحاً..
.....
رطب طين الأرض..
مبللٌ بدموع أطفالٍ
للشقائق يبذرون الحب
تزهر هي..
وهم يحتضرون..
يذوبون..
كأحجار الملح تحت
وقع حبات المطر..
بعضهم غادر حاملاً جرحه
للسماء..
وفي جعبته حديث إلى
الله يطول..
عتب ورجاء بحجم
الدماء..
وآخرون..
عيونهم معلقة بها
يحلمون..
ينتظرون..
يترقبون خطى الله
على الأرض..
بوعد أبدي الوفاء..
بأطراف وذاكرة مبتورة
يكتبون أبجدية بقاء
يرممون ثقوب الحياة
كأمواج البحر
كلما دمر الشاطئ تكوينها
عادت أشد قوة في الصباح
.....
مبهم ما في قلوبهم..
مطالبون بتركيب الذرة
تفكيك الجزيء
وتفسير نور الشمس
خلق المبررات للقتلة..
والاستسلام لهم..

وجه القمر..

بين الانغماس في المجتمع والتشظي مع قضاياه

إيمان إمبابي ـ مصر

انتهت الحياة.. مت أنا كما يروني.. مجرد جسد خاو من الحياة أمامهم، لكني هنا أراهم أسمعهم، أنا هنا في مكان ما..

هكذا حلق بنا الكاتب في أجواء ميتافيزيقية.. في قصة (البرزخ) كاسراً حواجز النفس البشرية.. لتتسق في منهجية سرده.. الواقعية في الحياة مع ما بعدها من أسرار تلك الحياة..

وهكذا شهدت المجموعة القصصية (وجه القمر) تطوراً ملحوظاً في أسلوب الكاتب «أسامة العمري» وحنكته الأدبية، ونستجلي ذاك التطور حين نتعرف مجموعته القصصية السابقة (خوفناك كوهست) فقد لوحظ التطور الموضوعي والفني والتصويري لدى الكاتب؛

-وما أن نتطرق للجمل اللغوية.. نجدها بعيدة عن النمطية المملة.. فقد أغدق علينا من جمال الصياغة واصفاً البحر بلوحة تعج بجمال المعنى في قصة (هوية).. يفرد البحر أمواجه على مرمى البصر، تستكين أمواجه في وقار وحلم كالعروس في خدرها.. تتمنطق بنطاق السيادة، مليكة منسدحة في عزها.

ثم تراه ينقل لنا مغزى الفكرة في بساطة ويسر في قصة (إشارة حمرا) والسيارات متراصة بظاهر يعبر عن ثقافة الالتزام، وباطن يبرز ثقافتنا كشعوب عالم ثالث.

ثم يرسم لنا صورة حركية من تشتت النفس من خلال تلك الإسقاطات التي نلمسها في تلك اللوحة..

تلاشت السيجارة بين أنامله كنشوة زائلة.. وتناثرت بين ذرات الهواء.

كما برع الكاتب في جعل ديناميكية الأحداث والشخصيات سلسة ومنسابة بصورة توحي بتناغمها.. ففي تصوير يعج بالحياة في قصة (أمنية حرون) تراه يربط الانفراجة بحركة ضوء الشمس الذي يهب الأمل حين يقول؛

ها هي الانفراجة قد حانت.. فأضواء الشمس تلمع على قارعة الطريق في إشارة إلى الطريق العمومي الذي يحده نهاية السوق.

- وحين جعلنا نسمع صوت الحركة واصفاً خطى عنتر في قصة (كرفتة جيفينشي)

صوت قدمي عنتر على الحصيرة المصنوعة من الخوص.. كصوت عظام تتهشم مع كل خطوة تطؤها قدمه.

ثم تستشعر تميز الكاتب.. حين نجح في بث الحياة في الجمادات.. حتى صرنا نتفاعل معها شعورياً كشخصيات حقيقية.. في قصة (كرفتة جيفينشي) كما رسم بقلمه الذي يعج باللون لوحة فنية أنيقة في نفس القصة.. حين وصف الموسيقى في لوحة فارهة الجمال، الموسيقى الراقصة تنساب كيرقات تشق طريقها للطيران للمرة الأولى.

-كما بات ترتيب الأفكار البنائية موفقاً من حيث التصوير الموضوعي للأحداث، وحين اختار شخصياته.. شوكت بيه في قصة (كرفتة جيفنشي) وعم حسن وأولاده، وأم توحة في قصة (أمنية حرون) وشخصية شخصية فايز بيه من قصة (النداء الأخير).

وغيرها من الشخصيات التي تظهر توفيق الكاتب في خلق صورة واضحة لسيكلوجيتها، وتأثرها اجتماعياً بمحيطها، حيث أبرز أثر الثقافة والفلسفة الفكرية، والظروف الاجتماعية لتلك الأنماط، مما يؤثر بالإيجاب على تناغمها مع الحدث والفكرة التي طمح لبثها لنا الكاتب، لنجد أيضا أنفسنا أمام مبدع تميز بالثبات على القيمة الأخلاقية والبعد عن ازدواجية المعايير..

ويظهر ذلك في اختيار قضاياه، وأسلوب معالجتها الثري الذي منحنا التفاعل مع تلك القضايا. كما تضهر ملامح ثقافته الفنية في الفن التشكيلي حينما يثري معرفتنا ببعض أسماء الفنانين التشكيليين.. كلوحة تشكيلية بيد (كارافوجيو) يتصارع فيها الموت والحياة وفي (كرفتة جيفنشي) شعرها مجعد منكوش كلوحة سريالية لـ(جاك لوي ديفيد)، وفي المجمل نحن أمام كاتب يستجلي من قضايانا الأكثر تفاعلاً وتأثيراً في مجتمعاتنا، ويطمح أن يبث لنا فكراً ورؤية مستنيرة، وقد كان موفقاً في اختياراته ونظم عرضها وتنوعها، بما يوحي بثراء وجدانه الإبداعي..

أسامة العمري، كاتب له مشروع تنويري واضح في كتاباته..

دراسة نقدية لقصيدة الشاعر الرقي أحمد ظاهر /رحيل نهر جميل/

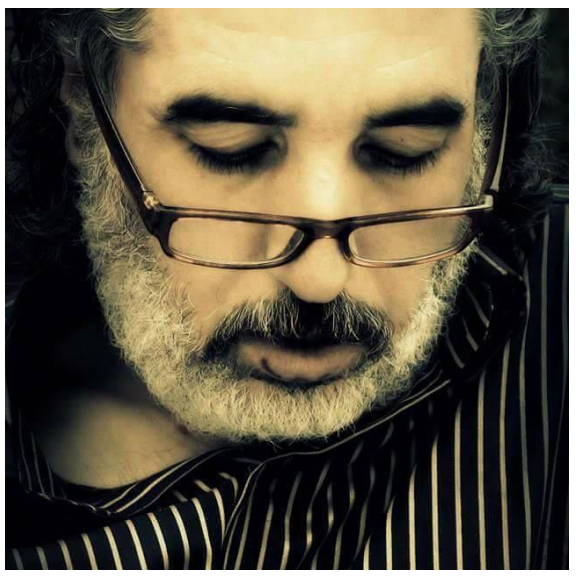

نص القصيدة:
أحمد ظاهر
رحيل نهر جميل
يا ضائعَ المجرى
جفاكَ الموج في ليل الحِمامْ
أوقدتَ قنديل النوى
ومضيتَ تستجلي الظلامْ
يحدوك من نغمِ الحجازِ أنينه
فتَقدَسَ الحُزنُ الجليلُ بذا المقامْ
ما أبعدَ المثوى
وقد تم اقتلاعكَ
من عيون المنهكينْ
يا سيد الأنهارِ
لا درب سيوصلُ للشآمْ
مولاي سربٌ النخل
غنّى للفراقِ اختار وعثاء الرحيلِ على
المقامْ
قال: النواطير استباحوا هيبتي
حينَ استبدَّ الصمتُ
في صوت اليمامْ
يا أيها المنسوج
من وجع النخيل على الفرات
حدّثْ:
عن الإسراءِ في ليلِ المطايا
رتلِ القُدسيَّ
من وحيِ الكلامْ
أوقدْ نجوم الشوقِ
في هذا المسا
أدري بشوقك لا ينامْ
قبل ارتداء الفجر إشراق المدى
أوْلمْ سكون الليلِ مائدةَ الختامْ
هذي َالرواحل
آمنتْ بالشوقِ يحرسُ ضعنها

قلتَ اتركوها غصتي
وعلى هوادجكمْ سلام.

نص الدراسة النقدية بقلم الأستاذ الناقد والشاعر المصري عبد العزيز العيسوي رئيس الأنشطة الثقافية في متحف أحمد شوقي بالقاهرة:

إضاءة نقدية لنص «رحيل نهر جميل»:

يعجبني في شعرك الأخير تطوره وميله إلى التوظيف الرمزي بشكل أخاذ، للمرة الثانية بعد قراءة أبياتك ذات الموسيقى الأندلسية على نحو ما أسَمِها والتي لا زلت أوْجل وقفتي النقدية أمامها، أضف إلى ذلك عمق العبارة الشعرية كنوع من التطور أيضاً.. النهر هنا رمز ينفتح على دلالات عدة بداية من القلب ومروراً بالأوجاع وانتهاء بالوطن.. الرمز متفجر، ولكنه يجف قبل أن يتفجر: (يا ضائعَ المجرى جفاكَ الموج في ليل الحِمامْ) وما أعمق تعبيرك الشعري، على سبيل المثال: (أوقدتَ قنديل النوى ومضيتَ تستجلي الظلامْ) وهو تعبير عميق عمقَ ما في الروح من كآبة.. وهو نهر يأخذ نوعًا من الجلال: (يحدوك من نغمِ الحجازِ أنينه فتَقدَسَ الحُزنُ الجليلُ بذا المقامْ) وإن كان الجلال هنا جلال الحزن، ما يوحي بأن النهر مشلول، ومن الطبيعي أن يتصل الرمز بالأسطورة تعبيراً أو رمزاً أسطورياً، وهو ما نجده بعد ذلك بداية من: (ما أبعدَ المثوى
وقد تم اقتلاعكَ
من عيون المنهكينْ) إنه تعبير أسطوري يربط بين عيون الماء التي تمثل النهر وعيون المنهكين بشكل أو بآخر.. ثم مروراً بقولك: (يا سيدَ الأنهارِ
لا درب سيوصلُ للشآمْ) وهذا يعني أنه رمز أسطوري لكنه فاقد لأسطوريته، إنه مقطوع الدابر، ما يعني التمزق العربي، ومن ثم تمزق الأسطورة العربية التي تغنينا بها كثيراً في الخمسينات وما بعدها.. حتى صار يتغنى بها كل قطر ضاحكاً على نفسه وأهله الآن!!!.. حتى الخصب العربي يفتقد معناه: (مولاي سربٌ النخل
غنّى للفراقِ اختار وعثاء الرحيلِ على المقامْ) فالنخيل لا ينادي أهله ولا يحن إليهم، ولا يتمسك بنهر حنينهم، بل يلوح للفراق، راحلا كسرب غريب يغني الضياع.. إنه نخيل يعتز بأجوائه الشامخة والمتفاعلة حوله في روح حميمة مع أهله المحيطين الذين يشعر بصمتهم: (قال: النواطير استباحوا
هيبتي
حينَ استبدَّ الصمتُ
في صوت اليمامْ).. وحتى النخيل يبكي بكاء أسطوريا في أكثر من كان، وكأن كل الرقع تبكي: (يا أيها المنسوج
من وجع النخيل على الفرات) الأمواج تنسج من البكاء والوجع، وهو نسيج واهٍ من ثم.. ويستحثه الشاعر ويحفزه ليفعل شيئاً، ليستعيد قداسته وقداسة وارديه:(حدّثْ:
عن الإسراءِ في ليلِ المطايا
رتلِ القُدسيَّ
من وحيِ الكلامْ) إنه يحاول أن يعيد له شيئاً من بهائه ورونقه.. ولذا يأتي

المعجم الديني خاصاً ومفجراً لمعاني القداسة المختزنة في أعماق هذا النهر/ الوطن.. وهو يبحث عن العلاقة الحميمة معه: (أوقدْ نجوم الشوقِ
في هذا المسا
أدري بشوقك لا ينامْ) فهناك سهر مستمر وحوار لا ينتهي، يريد الشاعر من النهر استعادة لياقته ليستمتعا بحكايا خاصة بينهما تنوء بها الروح والكلمات.. وهو يستحثه مرة أخرى كي يترك حالته الرمادية الحزينة ويعود للإشراق والعنفوان: (قبل ارتداءِ الفجر
إشراقَ المدى
أوْلمْ سكون الليلِ مائدةَ الختامْ) ويأتي التعبير الختامي مبهماً إلى حد ما وكأنه يعبر عن صدمة الفراق والرغبة في الانتظار مع نوع من فقدان الحيلة والإحساس بتجمد الزمن، ولكن ليتجمد الزمن كما شاء ونتجمد معه جوار النهر/ الوطن، ولتفعل غصة الفقد بالمحبين ما تشاء.. وهنا يعتمد الشاعر على مفردات عربية مفعمة بالحنين كالرواحل والهوادج، معبراً عن الرحيل العربي عن النهر الأسطوري الكامن في الذات العربية، ويبقى وحده- سهرانَ- حارساً لهذا النهر/ الوطن مهما فارقه الجميع: (هذي َالرواحل
آمنتْ بالشوقِ يحرسُ ضعنها
قلتَ اتركوها غصتي
وعلى هوادجكمْ سلام).
نص جميل مغاير لكثير من كتابات الشاعر.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة
الحريـــة دائمـــاً
Her Daim Özgürlük
ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete
SAYI: 76 YIL: 4 (2018)
EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED
BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133
رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس
Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa
Alharmal.journal@gmail.com
Twitter.com/AlharmalJournal
FB.com/AlharmalJournal

عكس السير

نجاة عبد الصمد

أهلي يركضون إلى الشرق هاربين، وأنا أركض غرباً وغرباً...
قلوب أهلي تُخلع من مساكنها، وتفرفر في نزوحها العَجول نحو الشرق، ويتبعها القصف من الحارة الغربية، الحارة الجارة التي صارت عدوّةً بعد بدء الحرب.
هم يفرّون من سخونة النار. وأنا أفرّ إلى سخونة صوتك في تلك الحارة الغربية التي يقصف أهلُها أهلي.
وقلبي يفرفر. لا رعباً ولا تعباً.
سأراوغ القناص. أظنّه لن يحدس أنّ عاشقاً أحمقَ سيباغته من جهة الشرق العدوّ، ويقحم رأسه في مرمى بندقيته، في قلب هالتها الحمراء
أصير في حارتكم، حيث الهواتف ما تزال تعمل، (لا كحارتنا العاطلة عن الحياة). أدخل كابينة الهاتف العموميّ، أسكب الرقم من رأسي على الأزرار، وتصلني غمغماتك عبر طرف السلك البعيد، وأسرع في اعترافي قبل أن يدركني القناص، وقبل أن أسمع الجواب:
(دلّليني! أنا مصابٌ يلوذ إليك. لستُ مصاب الجسد، ولا مريضاً. ولو متُّ قبل أن ألقاك، فأخبري أهلي أنّ أهلك أبرياء من دمي. أنني؛ أنا العاشق الخفيف العقل، أنا المحتضر عشقاً؛ أنا الذي لا يرجو من الدنيا سوى صوتك!
أتيتُ لأخبركِ، لتعرفي فيما لو متُّ، أنني شهيد صوتك من قبل أن يصير أهلنا أعداء، منذ رأيتُكِ في مقهى الجامعة تغنين وتبكين، وتقولين لرفيقتك أنّك طائرُ حزينٌ قد يموت إذا كفّت السماء عن المطر، وإذا لم يسمع صوتكِ حبيبٌ لم تلتقيه بعد، وأنّ الحياة ضحلةٌ لو لم تزيّنها الأغاني، وأنك لا تغنّين إلا وأنت تستحمين، حينها تغنين طويلاً، ولا تنصت إليك إلا جدران الحمام... ومن يومها، من حارتي البعيدة، صرتُ في سرّي أسمعك، ومن يومها أحبك. من يومها أحيا على وعد أن تنتهي الحرب وأصير قريباً وتغني لي، وطويلاً سأسمعك وحدي، وأسمعكِ، وأسمعك، وأظلّ أعيد ما حرمتني الحرب أن أقول: أحبك. يا بنت الدين العدوّ: أحبك...)

زاوية حرة

إنّا مغلوبون فانتصر..!

يوسف دعيس

بعد ولادة متعسرة استطاع مجلس الأمن أن يصوّت لصالح قرار الهدنة، الذي يقضي بهدنة إنسانية لمدة ثلاثين يوماً، تتضمن وقف كل الأعمال الحربية في سوريا، وإدخال المساعدات الإنسانية إلى مناطق الغوطة، وتسهيل خروج آمن للمصابين والجرحى والمرضى، ومع وقع عمليات التصويت والمناقشات وتفاصيل إقناع الروس بشروط الهدنة، كانت طائرات الروس والنظام ومدفعيتهم تدك بيوت الغوطة وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ.
روسيا على لسان وزير خارجيتها لافروف تطالب قوى المعارضة الالتزام بتطبيق شروط الهدنة، وفي الوقت نفسه تواصل عملياتها الحربية بتحدٍ صارخ لمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة والمجتمع الدولي، وتفرض بإرادة وقحة هدنة لساعات خمس يومياً لإخراج المدنيين عبر طرق آمنة كما تدعي، ويكتفي النظام بمواصلة أعمال القصف والتقدم البري بصورة إجرامية، ويقوم بالإعلان عن تأمين الباصات لتهجير ما تبقى من سكان الغوطة، ويغيب عن المشهد وزير خارجية النظام ونائبه، والمبعوث الدولي ديمستورا، وتكتفي البعثة الأميركية بالأمم المتحدة بالقول إن هدنة الساعات الخمس تحدٍ صارخ لقرار مجلس الأمن، وأن الأسد لم يحترم قرار الهدنة واستخدم الكلور في قصفه على الغوطة مجدداً، ويظهر عجز مؤسسات الأمم المتحدة بعدم قدرتها على الحصول على الموافقات اللازمة لتحريك قوافل المساعدات في سوريا، بل هي في موقف العاجز تماماً أمام تغول روسيا بأعمال القتل، والتي يواصل طيرانها المجرم قصفه وقتله المدنيين العزل، ويظهر في الوقت نفسه الرئيس المافيوي بوتين متبجحاً بالقول إن العملية العسكرية في سوريا تظهر زيادة قدرات روسيا الدفاعية، وبأن الأعمال العسكرية الروسية في سوريا جعلت العالم بأسره يعرف أسماء الأسلحة الروسية وإمكانياتها وقدرتها، وكأننا في معرض دولي لعرض المنتجات العسكرية.
لا يكتفي الروس بالمعاندة، بل بإصرار متواصل على القتل والتدمير، وسط غياب قرار ملزم من هيئة الأمم المتحدة يوقف هذا القتل والدمار، ويحد من تسلط النظام ومؤيديه، وفي الوقت نفسه نجد أن المعارضة عاجزة عن أي فعل مؤثر في المشهد الدموي السوري.
تنشط في هذه الآونة حرب إعلامية بين الروس والأمريكان، والروس ضليعون بتشتيت الرأي العام عبر بث تصريحات عن قواعد أمريكية في سوريا، وتوجيه سياسة الغرب نحو علاقة الأمريكان بقوات سورية الديمقراطية، ودعمها المتواصل، وكأن العالم غائب عن مثل هذه الأفعال التي تقوم بها أمريكا منذ بداية دخول قواتها إلى سوريا والعراق تحت مسمى قوات التحالف الدولي لمحاربة داعش، الذي يدعم قوات سورية الديمقراطية جهاراً نهاراً.
تدرك روسيا أفعالها بشكل جيد، لذلك ترمي بتصريحات مسؤوليها يميناً وشمالاً، ليضيع الحابل بالنابل، ويفرّغ قرار الهدنة من محتواه، وقرارات مجلس الأمن والهيئات الإنسانية السابقة واللاحقة التي تسعى لإنهاء مأساة السوريين الدامية، وبالتزامن ما زال مركز حميميم للمصالحة، الذي تديره روسيا يكرر أسطوانته المشروخة بأن قوات المعارضة تقصف المدنيين في دمشق، وبأن تصرفاتهم هذه تدل على رفضهم تنفيذ القرار 2401 لمجلس الأمن الدولي حول الهدنة في سوريا.
في وسط كل هذه المعمعة، هل يستطيع مجلس الأمن تطبيق الهدنة فعلياً، رغم المساندة الأمريكية والغربية لمفرداتها، وتلويح أمريكا بضربة قاسية لمواقع النظام العسكرية؟! أم ستشهد أرض الغوطة مزيداً من الدماء والدمار؟ اللهم إنّا مغلوبون ومقتولون ومهجرون وضائعون ومشردون فانتصر.